شهرية تصدر عن الجمعية الوطنية الحجازية
العدد (٦٣) ٢٠٠٨/١/١٥



زيارة بوش تفجّر الصراعات والخلافات حول (أمن الخليج)

ضيافة سعودية لبوش: أهداف وأوامر



فؤاد فرحان:
لا تنسوني في السجن!



بوتو.. (فويسقة) أم (شهيدة)؟!
السعودية تخسر أوراقها في الباكستان

وجوه حجازيّة



السعودية ورؤية الهلال

حملة (السكينة):
تكفيريون يحاورون تكفيريين!



حروب الوهابية وغزوها للحجاز

دمشق والرياض:
مبادرة مشتركة فاشلة



آثار مكة المكرمة

السعودية في العراق:
سياسة الإلتفاف

هذا العدد

دولة الغزو

نشرت صحيفة (الشرق الأوسط) السعودية في العاشر من يناير خبراً مفاده أن (الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض) برئاسة الأمير سلمان بن عبد العزيز تسعى إلى تحويل منطقة الدرعية التاريخية إلى مركز ثقافي، وسياحي على المستوى الوطني وفقا لخصائصها التاريخية، والثقافية، والعمرانية، والبيئية. وتقضي الخطة، بحسب عبد اللطيف آل الشيخ عضو الهيئة، ترميم المواقع، والمنشآت الأثرية، وإعادة تأهيلها، وإنشاء المؤسسات الثقافية التراثية. وتشمل إستهدافات الخطة، تحويل حي الطريف إلى متحف مفتوح من خلال تأهيل المنشآت الأثرية في الحي، بعد توثيقها وترميمها، وتوظيف أبرز المنشآت المعمارية لاستيعاب مؤسسات ثقافية متحفية، أو أنشطة وفعاليات ثقافية تراثية، وتوثيق العناصر المعمارية في حي الطريف بصرياً ومساحياً وأثرياً، كما تم تنفيذ أعمال التوثيق للعناصر المعمارية في الحي، ضمن ثلاث مراحل تشمل المرحلة الأولى، جامع الإمام محمد بن سعود، وقصر سلوى، وتتضمّن المرحلة الثانية قصر إبراهيم بن سعود، وقصر فهد بن سعود، أما المرحلة الثالثة فتضم قصر فرحان بن سعود، وقصر مشاري بن سعود، وقصر تركي بن سعود، و(قوع) الشريعة (الساحة الشرقية لقصر سلوى). وسيتم عرض جوانب الحياة اليومية في فترة الدولة السعودية الأولى في متاحف عامة، ضمن مجموعة من المباني الأثرية التي بدأ ترميمها في حي الطريف، وإنشاء أربعة متاحف متخصصة في حي الطريف تشمل متحف الحياة الإجتماعية، ومتحف الحرب والدفاع، ومتحف الخيل، ومتحف التجارة والمال..

يثير هذا الخبر قضيتين كبريين، الأولى الآثار التاريخية في الديار المقدّسة بصورة خاصة والجزيرة العربية الواقعة ضمن حدود الدولة السعودية بصورة عامة. الثانية: الهوية، على أساس أن إحياء التراث يمثل جزءً جوهرياً من تمظهرات الهوية الوطنية في أي بلد.

في الحديث عن القضية الأولى، تبرز أمامنا تحقيقات المعماريين الحجازيين مثل سامي عنقاوي الذين تحدثوا عن زوال أكثر من ٩٠ بالمئة من الآثار التاريخية في المدينتين المقدّستين، في عملية تدمير متسلسل أفضى إلى محو شامل للمشهد التاريخي وعبق الرسالة الذي كانت تعكسه بيوتات النبي صلى الله عليه وسلم وأهله بيته وزوجاته وصحابته رضوان الله عليهم أجمعين.

نداءات ومناشدات متواترة صدرت عن علماء المسلمين والآثار للحكومة السعودية، من أجل رفع معاول الهدم عن آثار الاسلام في الديار المقدّسة..فقد كانت عقيدة الردم تتوسّل بقوة الدولة، فما أبقت أثراً خالداً، ولا معلماً سامقاً إلا كانا هدفاً للزوال، لتنهض مكانها عمارات ناطحة للسحاب، ومراكز تجارية، ومواقف للسيارات، تعود ملكيتها لأمراء من العائلة المالكة..

آثار تاريخية موغلة في القدم وجليلة في القدر حضنتها الجزيرة العربية، ولكنها زالت بفعل فاعل، أو جهل الغالب، والنتيجة واحدة. فقد كانت هذه البلاد من كل زواياها متاحف أثرية مفتوحة، ولا غرابة في ذلك، فقد كانت محضناً لحضارات وأديان العالم، وتركت بصماتها وآثارها في بقاع مختلفة من هذه البلاد. فهل آثار الدرعية أشدّ أهمية من آثار مكة المكرّمة والمدينة المنورة، حتى تحوز الأولى على هذه الأهمية الإستثنائية، أم أن للأمر بعداً آخر؟

أما القضية الثانية، أي الهوية، فإن نقطة الإنطلاق الأولى فيها تبدأ من تحديد مواصفات الدولة السعودية، إن كانت وطنية أم فئوية. فمن بدهيات الهوية، أن تخليقها يتوقف على طبيعة العناصر الضالعة في تكوينها، وكل ذلك يعتمد على السؤال التالي: أي هوية نريد، وطنية أم مناطقية؟ وبات معلوماً أن الهوية الوطنية تتشكّل من مشتركات عامة بين فئات المجتمع، ولا يمكن لمكوّن خاص أن يحوز على دمغة الوطنية، ما لم يكن جزءً من ذاكرة وتراث المجتمع بأطيافه كافة. فما بالك إذا كان المكوّن للهوية ينطوي على عنصر إستفزاز، ويستدعي ذكريات مؤلمة للمناطق والفئات الأخرى.. فثمة أماكن ليست محايدة في هذا البلد، بخلاف أمكنة مثل مكة المكرمة والمدينة المنورة التي تمثّل مكوّنات في الهوية الإسلامية والوطنية والإنسانية، فليس هناك خلاف على كونهما كذلك.

أما الدرعية، فهي بلا ريب مكان غير محايد، فقد مثّلت قاعدة إنطلاق للغزو على المناطق الأخرى، ومنها تحرّك الجيش العقائدي لآل سعود، وأحدثوا المجازر والقتل في سكّان المناطق الأخرى..من الدرعية انطلق الجيش نحو الطائف وزرع الموت في أرجائها، وأخرج النساء والأطفال من البيوت وأذاقهم الجوع والعطش، وأحرق المكتبات العامة، وردم الآبار، وقتل العلماء.. وتكرّر المشهد الدموي في مناطق أخرى من الحجاز، وعسير والأحساء، تمهيداً لإقامة دولة، ولكن بهوية سلفية.

في الدرعية ظهرت فكرة تكفير المجتمعات، ومنها إنطلقت شرارة الحروب على المناطق والدول المجاورة، وعلى ترابها تبرعمت نواة دولة الغزو، وبذلك ارتبطت الدرعية في ذاكرة غالبية السكّان بالقتل والسبي والسلب، ما يجعلها عنصراً تقسيمياً وليس توحيدياً، ومناطقياً وليس وطنياً.

من حق أولئك الذين بنوا مجدهم على الغزو والإستعمال المفرط للقوة والقسوة، أن يفخروا بـ (الدرعية)، ولكنه ليس حقاً ملزماً للضحايا، الذين لا يجدون فيها ما يجلب الفخر بالنسبة لهم، وإلا خانوا دماء آبائهم وأجدادهم وكرامتهم، وفوق ذلك كله، ليس في الدرعية ما يحسب مشتركاً وطنياً، فهي منطقة خاصة، تحتفظ بتراث خاص، وتشكّل ذاكرة خاصة لفئة خاصة، ولا شأن للآخرين أن يقيموا وزناً لما يُضفى عليها، فهي، بالتأكيد، ليست ذات صفة وطنية، لأن ذلك خلاف الحقائق التاريخية والسياسية والثقافية، وأيضاً النفسية، فالدرعية كانت قاعدة لدولة الغزو، ومنها تنُسج هويتها.

أميركا اللاديمقراطية

تكلم النفط فاسكت أيها الغرب!

Be nice to America or we will bring democracy to your country

محمد قستي

خرجت السعودية والأردن ومصر من قائمة الدول المستهدفة ديمقراطياً وحقوقياً، فرؤساء تحرير الصحف والناشطون الحقوقيون يعتقلون في مصر، وجهاز المخابرات الأردنية يطوّر آلية رقابية على الصحافة، ويتعرض الإصلاحيون للإعتقال التعسفي في السعودية، وواشنطن لا يعنيها الأمر، كما لا تعنيها عمليات التزوير في الإنتخابات التي جرت في مصر والأردن، بقدر ما يعنيها قطع الطريق على أي جهة لا تحظى بالرضا الأميركي كبطاقة عبور إلى السلطة، وإن جاءت عن طريق صناديق الإقتراع. قرقيزيا، بورما، كينيا وغيرها تقع في دائرة الإستهداف الديمقراطي الأميركي والأوروبي عموماً، ولكن دول الإعتدال الشمولية باتت معفاة من الرسوم الديمقراطية.

حققت الإدارة الأميركية فشلاً ذريعاً في مجال نشر الديمقراطية في الشرق الأوسط، وباتت مجرد آلية لترسيخ الإستبداد فيه. وأوصل المعتدلون العرب الأخ الأكبر الى قناعة مفادها أن الإستبداد مصدر أساسي للإستقرار، وأن الديمقراطية مصدر تهديد للمصالح الحيوية والإستراتيجية للغرب والولايات المتحدة على وجه الخصوص.

في أكتوبر الماضي، تحدّث نائب مساعدة وزيرة الخارجية الأميركية السابق سكوت كاربنتر عن فشل إدارة بوش في تطوير إستراتيجيات تتكيّف مع كل دولة على حدة لتحقيق الديمقراطية في العالم العربي، كما فشلت في العمل مع مجموعات وحكومات في المنطقة من أجل وضع الإستراتيجيات حيز التنفيذ. وأوضح كاربنتر بأن الرئيس الأميركي طلب من السعودية ومصر القيام بمادرة لتطبيق الإستراتيجيات، إلا أنها لم تتجاوز مجرد توصيات دون خارطة طريق.

أشغل المعتدلون العرب حليفهم الأميركي بالملف الأمني في العراق، كيما ينسى تطبيق الحد الديمقراطي، بعد أن وصلت رسالة أميركية من العراق الى القيادة السعودية بأن السعودية مدرجة على قائمة العقاب الأميركي، وكان الصراع الأميركي ـ الإيراني على خلفية البرنامج النووي فرجاً ومخرجاً للمعتدلين العرب، الذين وجدوا فيه خياراً صالحاً لصرف الإنتباه عن بلدانهم، وتوجيه بوصلة السياسة الأميركية باتجاه طهران وليس الرياض والقاهرة.

من جانبها، وضعت واشنطن شروطاً على حلفائها المعتلدين الشموليين من أجل تجنيبهم خيار الدمقرطة، وإزالة القلق حيال الطريقة التي يدير فيها القادة المعتدلون جداً بلدانهم، من بينها تقديم تنازلات إستثنائية في عملية السلام مع اسرائيل، وعقد صفقات تسلح بأثمان فلكية، ومضاعفة الجهود في مجال الحرب على الإرهاب، وملاحقة مصادر تمويل المتطرفين، وتوفير تسهيلات عسكرية للقوات الأميركية في المنطقة، وإجراء إصلاحات تشريعية في مجال التجارة الدولية لجهة تسهيل مشاريع الإستثمار الأجنبية، والتعاون في القضايا الإقليمية ذات العلاقة بأمن الدولة العبرية وتفوّقها العسكري.

> **وضعت واشنطن شروطاً على حلفائها لتجنيبها العقاب الديمقراطي: تنازلات في عملية السلام، صفقات تسلّح، وتسهيلات عسكرية**

فرضت إدارة بوش تدابير صارمة ضد الحكومة العسكرية في بورما في سبتمبر الماضي، ضمن ما أطلق عليه (بعثة التحرير) التي قادتها الأمم المتحدة لدعم عشرات الآلاف من المتظاهرين، ودعا بوش الهيئة الدولية لعمل ما في وسعها من أجل محاربة الطغيان، والمرض، والجهل، والفقر وطالب بإصلاح المؤسسات. ووضع في سياق حربه ضد (الطغاة) قائمة من الدول تشمل بيلاروسيا، وكوريا الشمالية، وسوريا وإيران وزيمبابوي، وكوبا، تاركاً الدول غير الديمقراطية الحليفة لولايات المتحدة خارج دائرة الضوء. ومن الغريب أن ملاحظات بوش على هذه الدول تنطبق بصورة أكبر على حلفاء أميركا في المنطقة، فقد سبقت مصر بورما في فرض حالة الطوارىء، والحريات العامة مثل حرية التعبير والكلام والإجتماع والعبادة المنتهكة في بورما لا تقل إن لم تكن أسوأ في السعودية، كما تخبر تقارير حقوق الإنسان وأخبار الإصلاحيين وما جرى عليهم، وعلى الصحافيين ومانالهم، والحقوقيين وما أصابهم من عقوبات. وقد امتنعت إدارة بوش في الضغط على الحكومة السعودية من أجل تحسين ظروف الإصلاحيين، ولم تجهر باعتراضها على اعتقال الإصلاحيين أو تهديد حياتهم، أو فصلهم من الوظائف، أو حرمانهم من حق السفر والتنقل. لم نسمع أن إدارة بوش طالبت الأمم المتحدة بالضغط على حلفائها الأوروبيين باستعمال أدواتهم الدبلوماسية والإقتصادية بمساعدة القوى الإصلاحية من أجل تحقيق الحرية، كما فعل بوش بالنسبة لبورما.

يسخر بعض المراقبين الأميركيين من الموقف الإستعراضي الذي قام به الرئيس بوش بخصوص بورما، التي لم تعد ترد على لسانه في الآونة الأخيرة، واعتبروه ترضية رمزية للمتظاهرين البورميين على أساس أن مثل تلك التظاهرات قد تسفر عن نتائج واضحة في حال اقتفت دول أخرى مثل الصين خطوات مماثلة، وهي الشريك التجاري الرئيسي والحليف الإقليمي لها.

مواقف الرئيس بوش في موضوعة الديمقراطية تحوّلت الى مثار سخرية في الشارع الأميركي. وفي عهد هذا الرئيس العتيد إنتشرت عبارات ساخرة مثل (Be nice to America or we will bring democracy to your country),

فلم تعد الديمقراطية مبدأ، ولا قيمة حضارية غربية، فقد أحالها بوش وحلفاؤه الأوروبيون الى سلاح يهدد به حكومات معينة، حتى باتت الديمقراطية صنواً للإحتلال، وتدمير الدول مثل أفغانستان والعراق، فكلما أرادت القوة العظمى في العالم معاقبة خصومها شهرت في وجههم الديمقراطية.

السعودية، من بين دول الإعتدال العريقة، فهمت رسالة بوش في الديمقراطية فقابلتها بأحسن منها، قدرأت الديمقراطية بالنفط، وحالفها الحظ أو سابق التخطيط والإصرار بين الشركات النفطية الكبرى بأن تجعل من النفط سلاحاً برّاقاً، تبعد به شبح الديمقراطية عن حدودها، فأغدقت على الغرب الديمقراطي نفطاً سياسياً الى حد التخمة والفساد المالي والأخلاقي الذي سيشغله لسنوات بملفات الرشى على غرار الرشوة الفلكية التي حصل عليها الأمير بندر بن سلطان، وأفضت إلى نكسة ديمقراطية وقضائية في بريطانيا.

قرار تخلي الإدارة الأميركية عن نشر الديمقراطية ليس جديداً، فهو يعود الى منتصف عام ٢٠٠٦، ولكن الجديد فيه هو ذلك السلوك الفاضح مع الدول المرضي عنها أميركياً وأوروبياً، حيث أصبحت السعودية عضواً فاعلاً في مجلس حقوق الإنسان التابع لهيئة الأمم المتحدة، وصارت تقارير الخارجية الأميركية تشيد بتحسّن أوضاع حقوق الإنسان في السعودية، وصارت ليبيا أثيرة لدى الغرب، فتسنّمت رئاسة مجلس الأمن، وألجمت إدارة بوش بلجام من الديكتاتورية وهي تنأى عن البوح بتصريح يسيء لحليفتها مصر في موضوعات التعديلات الدستورية والإنتخابات واعتقال رجال الإصلاح والمعارضين، ولحظنا كيف تمتم الرئيس بوش بكلمات غامضة حين سئل عن موقفه من الحكم على (فتاة القطيف)، في موقف يبدي فيه عجزاً ديمقراطياً مذهلاً، وتذكر أن هناك من سبقه من المرشّحين للحملات الانتخابية في اطلاق تصريحات شديدة اللهجة ضد الحكومة السعودية.

إدارة بوش تخلّت عن إستراتيجية نشر الديمقراطية، انطلاقاً من دوران عجلة البترودولار، يذكّرنا ما قاله فرانك فيراسترو من مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية المستقل في واشنطن في مايو الماضي بأن الإدارة الأمريكية أظهرت مزيدا من الأداء المتناقض حيال لاعبين أساسيين في سوق البترول، ما أثار إلتباسا حول أهدافها الأساسية. وأضاف فيراسترو المتخصص بسياسة الطاقة إننا نستخدم (الديمقراطية) حين نتحدث عن فنزويلا أو الشرق الأوسط، معتبرا أن هذا الأمر يشبه أكثر فأكثر سياسة المصالح الآنية.

بوش يقول بأن (كل أمة متحضّرة تتحمل مسؤولية الوقوف من أجل الشعوب التي تعاني من الديكتاتورية)، ويشير في ذلك الى دول ميلابيلاورسيا، وكوريا الشمالية، وسوريا، وايران التي وصفها أنظمة ديكتاتورية تنكر الحقوق الأصلية لشعوبها كما وردت في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان. ولم نجد دولاً أخرى لا يتمتع سكانها بالحد الأدنى من المشاركة السياسية والحريات العامة ضمن القائمة النمطية لدى إدارة بوش والحكومات الغربية بصفة عامة. وقد يأتي يوم تزول فيه أسماء بعض هذه الدول في حال تطابقت المصالح وليس المبادىء بينها وبين الولايات المتحد والغرب.

لم تعد دول مثل السعودية أو باكستان أو مصر، أو بقية حلفاء الولايات المتحدة كحكومات أوتوقراطية واردة في التصريحات الأميركية الناقدة، بالرغم من أن هذه الدول لم تغيّر ولم تبدّل في نهجها الشمولي، بل تشعر الآن بأن ثمة غطاءً أميركياً لكل ممارساتها الإستبدادية.

زيارة الرئيس الأميركي الى الشرق الأوسط في الثامن من يناير لم تكن من أجل تشجيع الديمقراطية، ولا الضغط على حلفائه المعتدلين جداً من أجل الإسراع في تطبيق أجندة إصلاحية شاملة وفاعلة، بل هناك هدف واحد تشجيع عملية السلام مع الدولة العبرية وحشد الدعم الإقليمي لها، وتوفير دعم للقوى الحليفة للولايات المتحدة من أجل السير بمشاريع الهلاك السياسي. ولذلك، فإن من كان ينتظر وصول المخلّص الأميركي، ليس الشعوب ولا الإصلاحيين، ولا ضحايا حقوق الإنسان، بل هم المعتدلون بالمقاييس الأميركية ممثلين في دول الخليج الست زائداً مصر والأردن، الى جانب قوى سلطوية في فلسطين ولبنان. فهؤلاء وحدهم ينتظرون هبات وجرعات

درأت السعودية الديمقراطية بالنفط، وجعلت منه سلاحاً برّاقاً، فأغدقت على الغرب نفطاً سياسياً الى حد التخمة أغرى السعودية كما الغربيين بالفساد المالي والأخلاقي

التأييد الأميركية، بعد أن فقدوا رصيدهم الشعبي والرسمي.

أتى بوش الى المنطقة بعد سقوط هيبة المنظمات الدولية وعلى رأسها هيئة الأمم المتحدة، ومجلس الأمن، وبات العالم كله في عهدة حلف الناتو بقيادة الولايات المتحدة، فهو يقرر إحتلال أو استقلال الدول وأحجامها أيضاً، كما يقرر السلام والإستقرار في الشرق الأوسط، بل وفي العالم، كما تخبرنا أزمة الدرع الصاروخية بين واشنطن وروسيا.

تحوّلت هيئة الأمم المتحدة وبصورة فاضحة إلى سلاح بيد الولايات المتحدة، وكان مشيناً ذلك الإنغماس السافر في شأن لبنان عبر إصدار قرارات



مالذي يجمع بينهما؟: قبلة نفطية!

متوالية لدعم الحكومة، وتحويل منظمة دولية إلى مايشبه (شرطة الطريق السريع) لتسجيل المخالفات، وتحديد الغرامات. لم يعد أعضاء هيئة الأمم المتحدة يمارسون دوراً في (مهمة التحرير) التي ينعتها الرئيس بوش، لأنها مصممة لغايات أخرى، لا شأن لها بالتحرير، ولا بالديمقراطية، ولا حقوق الإنسان..

جاء بوش إلى المنطقة وقد أنهى مهمته في التحرير على طريقته الخاصة.. يخطف موقف الشعب الأميركي برمته في تعبير عن إحباطه من فشل مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة كون المجلس إلتزم الصمت حيال الإضطهاد الذي تمارسه هافانا وكراكاس وبيونغ يانغ وطهران، وينتقد المجلس بشدّه لأنه يولي إهتماماً بانتهاكات إسرائيل لحقوق الإنسان الفلسطيني. يقول ذلك كله، وإسرائيل الوديعة الوادعة لا تقوم بأكثر من قصف البيوت واقتلاع الأشجار، وهدم المساكن، وإطلاق النار العشوائي على المدنيين، ومنع سيارات الإسعاف من إيصال جرحى رصاصها الى المستشفيات، وهي تدابير لا تستحق أكثر من (ضبط النفس)، كما عوّدتنا بيانات البيت الأبيض، وليس إلى انتقادات من منظمة دولية بحجم مجلس حقوق الإنسان الذي لا يكاد يبين، وكل ذلك لأن واشنطن غير راضية عن أداء المجلس الذي تريده مصمماً لمحاربة خصوم واشنطن في العالم.

تنبّه كثير من الجبابرة في الشرق الأوسط الى أن حملة الولايات المتحدة بعد الحادي عشر من سبتمبر تستهدف معاقبة الدول العربية التي لا تمتثل لقيادة واشنطن في حربها على العراق وفي النزاع الفلسطيني الإسرائيلي، ولذلك قرروا أن يعطوها ما تريد، ليحصلوا على بطاقة (معتدل) من الطراز الأول، وإلغاء وصمة (العدو) أو (الشرير)، وكان لهم ذلك، طالما أن نجاحاً نموذجياً قد حققه الحلفاء التاريخيون للولايات المتحدة في مجال ضمان المصالح الحيوية لها، بما يجعلهم في مأمن من عقاب ديمقراطي يسلبهم متعة الجبروت، فليس هكذا تكافيء واشنطن من أخلص لها الطاعة وارتضاها بلا شريك.

بين الشرع والفلك والسياسة

السعودية تحتكر رؤية الهلال وتربك مليار مسلم

فريد أيهم

كان يمكن لإعلان رؤية هلال شهر ذي الحجة أن يمرّ كبقية الشهور والسنوات، فليس هناك ما يمكن فعله من أجل منع الحكومة السعودية من إحتكار حق تحديد إعلان الشهر، وإن انطوى على مخالفة صريحة للأسس العلمية، فقد ظلّت لسنوات طويلة تحتكر هذا الحق، وخصوصاً في شهر ذي الحجة، حيث لا مجال أمام المسلمين القادمين لأداء مناسك الحج سوى الإذعان لما تقرره الحكومة السعودية..

خلاف طويل حول رؤية هلالي شهري مضان وذي الحجة يتجدد كل عام، في ظل غياب مرجعية إسلامية عليا تحسم هذا الخلاف إستناداً إلى الأسس العلمية والفلكية التي يجب إتباعها في رؤية الهلال. وكان شائعاً في السعودية أن من يتقدّم بشهادة رؤية الهلال أمام الهيئة الشرعية يحظى بمكافأة مالية و(بشت)، وتسبب ذلك، غالباً، في وقوع أخطاء جسيمة، كما كشفت عنها الدراسات الفلكية اللاحقة. ولأن كثيراً من الدول العربية والإسلامية تقتفي حرفياً ما تقرّره المؤسسة الدينية في السعودية، وخصوصاً في موضوع هلال شهر رمضان، ولأن المسلمين قاطبة ملزمون بأيام معدودات لأداء مناسك الحج، فإن السعودية وحدها المالكة لسلطة تقرير بداياتها ونهاياتها.

لسنوات طويلة، لم تكن إعتراضات علماء الفلك تلقى أذناً صاغية من قبل الدول العربية والإسلامية فضلاً عن السعودية فيما يرتبط بوقت ولادة الهلال، إما لأن هناك تسليماً بما تتوصل إليه الهيئة الشرعية في السعودية، وإما لعدم الإكتراث على قاعدة (إنما الأعمال بالنيات)، أو أن علماء الفلك لم يدلوا بدلوهم في قضية تصيب الجانبين العبادي والتقويمي لنحو مليار ونصف المليار مسلم، إذ أن غياب من ينبّه الى ما يعنيه تكرار الخطأ الى الحد الذي يجعل نسبة الصواب هي الأقل النادر، جعل أمر الهلال مرتبطاً بعلماء الدين دون غيرهم.

مسألة الهلال لا تقف عند مستوى الرؤية الشرعية، لتقرير بدء العبادات ونهايتها، ولكن تدور حول صراع على المرجعية الدينية ممثلة في علماء الشرع والدولة الراعية للحرمين الشريفين. وإذا كانت السعودية قد فقدت في السنوات الأخيرة مرجعيتها الإفتائية بخصوص هلال شهر رمضان، حيث كان كثير من الدول العربية والإسلامية تعتمد على مرجعياتها الدينية الخاصة في تقرير بدء هلال شهر رمضان، فإن ثمة دولاً ربطت نفسها في موضوع هلال شهر رمضان بما يصدر عن الهيئة الشرعية لرؤية الهلال الخاضعة تحت السلطة الدينية الرسمية في السعودية.

ما يجعل رؤية الهلال وبداية شهر وخاتمته مسألة جدلية كونها مرتبطة بنفوذ ديني وسياسي تحاول السعودية ممارسته على المسلمين، ولذلك ترفض أن تكون ضمن لجنة إسلامية عليا مسؤولة عن إعلان رؤية الهلال، كما ترفض دول أخرى عربية وإسلامية أن تكون خاضعة تحت مرجعية دينية تديرها السعودية.

الأهم في ذلك كله، هو التضارب بين الحسابات الفلكية القائمة على أساس علمي وأحكام العلماء المستندة إما على شهادات غير موثقة وغير علمية، أو خاضعة تحت تأثير الساسة. وفي كل الأحوال،

> **الإقرار بمرجعية علم الفلك في تحديد بدايات الشهور يطيح مرجعية العلماء، بوصفهم المصدر الشرعي الوحيد، ويطيح مرجعية الدولة الدينية**

فإن ثمة جدالاً متصاعداً بشأن المرجعية المخوّلة بالإضطلاع بمهمة رؤية الهلال والإعلان عنه.

ومن المعلوم، أن الإقرار بصدقية الحسابات الفلكية القائمة على أسس علمية يطيح مرجعية العلماء، الذين تمسّكوا بأنهم وحدهم المصدر الشرعي الوحيد الذي منه يعلن بدء الشهر وخاتمته، وهو ما لايقبل العلماء التخلي عنه، بوصفه جزءاً من سلطتهم الدينية.

من جهة ثانية، تلحّ السعودية على فرض نفسها كدولة مرجعية للمسلمين عامة، ولذلك تبقي على محوريتها خصوصاً في شهر ذي الحجة حيث لا إمكانية لإعلان بداية الشهر من خارجها. فالسعودية لا تقبل بمرجعية دينية من خارجها، تماماً كما ترفض الإذعان لصحة ما عليه بعض الدول، حتى وإن كان الخطأ والصواب بيّنين.



Shawwal 1424 AH by Alireza Mehrani

عام ١٤٢٨ للهجرة كان عاماً فاصلاً، فقد فجّر إعلان السعودية حلول شهر ذي الحجة قبل ولادة الهلال إعتراضات مكبوتة لدى الفلكيين في العالمين العربي والإسلامي، لما أحدثه الإعلان من إرباك واضح وخطير في التقويم الهجري لدى كثير من الدول العربية والإسلامية، على أساس أن إعلان السعودية قبل يوم من ولادة الهلال يجعل شهر ذي الحجة ٣١ يوماً وهو ما لم يحصل في تاريخ المسلمين قط.

ويؤكّد الباحث الفلكي محمد شوكت عودة رئيس المرصد الإسلامي لرصد الأهلة في ٣ يناير بأن إجماع الحسابات الفلكية أكدت إستحالة رؤية الهلال في السماء ليلة الإثنين١٢/٩ لعدم اقتران القمر في ذلك الوقت وأن مغيب القمر قبل الشمس يؤكّد إستحالة رؤيته في تلك الليلة التي أعلنت فيها السعودية عن ثبوت رؤية هلال شهر ذي الحجة..

وخلص عودة إلى إن يوم الثلاثاء لا يصادف يوم عرفة، وأن يوم الأربعاء لا يصادف يوم عيد الأضحى وفقاً للحسابات الفلكية، وأن شهر ذي الحجة سيكون ٣١ يوماً بحسب إعلان السعودية عن رؤية الهلال وفق التأكيدات السعودية ووقفة الحجاج بيوم عرفة!

وعكس هذا الخطأ نفسه ليس على الجانب العبادي فحسب، بل شمل تقويمات عدد من الدول، وتحديد عطلة رأس السنة الهجرية. ففي الكويت، على سبيل المثال، أثار قرار ديوان الخدمة المدنية باعتماد يوم الخميس الموافق العاشر من يناير عطلة رأس السنة الهجرية حالة من الإرتباك الحكومي والفلكي والديني، حسب كتّاب كويتيون في الرابع من يناير، على أساس أن بداية السنة الهجرية تصادف يوم التاسع من يناير. واعتبر الخبير الفلكي عادل السعدون أن التاريخ الإسلامي لم يشهد شهراً يكون فيه ذو الحجة ٣١ يوماً! وأضاف السعدون أن هذه المشكلة حصلت بسبب إدخال شهر ذي الحجة قبل موعده بيوم، ويعود السبب الرئيسي لذلك إلى عدم إهتمام الدولة ورجال الدين برأي علماء الفلك وها قد حصل ما لم يتوقعه أحد، مؤكدا أن علماء الفلك أشاروا إلى هذا الخطأ، ولكن لم يلتفت أحد إلى ما نقوله، معتبراً أن هذه التجربة قاسية وخطأ لا يغتفر في التقويم الهجري، ويجب أن نتعلم من هذه التجربة وأن يحترم رأي الفلكيين.

أما دينيا، فقد حذر علماء دين من انسحاب ذلك على مواعيد الصيام في هذا الشهر، وأيضا على موعد الوقوف في عرفة في العاشر من ذي الحجة، بينما ذهب آخرون الى التساؤل عن سر الصمت المطبق لوزارة الأوقاف التي لم تحدد حتى الآن موعداً محددا لعطلة رأس السنة الهجرية. وقال عضو هيئة الفتوى الشيخ أحمد الكردي (أن الأشهر القمرية تثبت شرعاً برؤية الهلال بالعين البشرية، سواء في ذلك رمضان وغيره..).

في موقف يثير الغرابة، أكّد الشيخ ناظم المسباح أن هذه الأمور تسبب فتنة وطائفية ولا ينبغي على الصحافة تداولها ولا ينبغي التشكيك في أمور الدين كذلك. وأضاف في اتصال هاتفي أجرته صحيفة (القبس) الكويتية في ٤ يناير أن وقوف الحجاج في عرفة صحيح، وحتى إن كان الوقوف خاطئا، فلهم الأجر على ذلك، مشيراً إلى أن ليس هناك مشكلة تجاه الحجاج فحجتهم صحيحة.

الباحث الفلكي عدنان عبد المنعم قاضي، نشر عام ٢٠٠٥ كتاباً بعنوان (الأهلة: نظرة شمولية ودراسات فلكية)، حدّد فيه بصورة علمية بداية الشهور، وشدّد فيه على تطابق الرؤيتين الدينية والعلمية في تحديد رؤية الهلال، إستناداً على نصوص دينية وفقهية.

ينطلق قاضي من حقيقة أن تحديد دخول الشهور العربية يعتمد على ظاهرة طبيعية هي وجود الهلال في وقت ومكان معينين: بعد غروب الشمس وفي جهة الغرب. وأن شروط رؤية الهلال تتم بصورة متسلسلة هي: أن يولد الهلال ويسمى الإقتران أو المَحاق أو التقاء النيرين، وهي وقوع الشمس والقمر والأرض على خط طول سماوي واحد، حيث يستخدم علم الفلك هذه الطريقة لبدء الشهر القمري الإقتراني، ثم أن تغرب الشمس قبل أن يغرب الهلال، ، وأخيراً أن يكون هناك وقت كاف بين الغروبين، وإلا طغى ضياء الشمس على نور الهلال النحيل مما يجعل رؤية الهلال مستحيلة، وأن يكون الهلال بعيداً عن الشمس.

ويشرح قاضي النقطة الأخيرة بقدر من التفصيل، لما تثيره من إختلافات، حيث يرى بأنه في الفترة من ٢٦ إلى ٢٩ ذي الحجة ١٣٩٨هـ الموافق من ٢٧ إلى ٣٠ نوفمبر ١٩٧٨، إنعقد في إستانبول بتركيا مؤتمر تحديد أوائل الشهور القمرية، تم فيه تقنين النص الشرعي لرؤية الهلال في صيغة علمية لإمكانية الرؤية واتخذ ضمن توصيات أخرى التوصية التالية: لإمكانية رؤية الهلال بالعين المجردة لعموم البشر لا بد من توفر شرطين أساسيين هما: ألا تقل زاوية ارتفاع القمر عن الأفق بعد غروب الشمس رأساً عن ٥ درجات، لأن رؤية أي جرم سماوي عند أقل من ٥ درجات تصبح متعذرة، نظراً لكثافة الغلاف الجوي ودرجة الحرارة وتصاعد الرطوبة والغبرة والأبخرة والغازات وانعكاس وانكسار الأضواء ووجود تلال، والتي قد يصل إرتفاعها الظاهري في الأفق إلى أكبر من ٣ درجات، وحدة بصر الرائي وأمانته. وأن لا يقل البعد الزاوي بين الشمس والقمر بعد غروب الشمس رأساً عن ٧ درجات، لأن ضياء الشمس الهائل يغطي نور الهلال النحيل كلما اقترب القمر من الشمس. وعلى هذا الأساس وحده يمكن رؤية الهلال بالعين المجردة لعموم البشر في الأحوال العادية، وحينما تتحقق هذه الشروط يبدأ اليوم والشهر والسنة القمرية في الوقت نفسه عند مكان واحد معين.

وبناء على الشروط والمحدّدات التي وضعها مؤتمر إستانبول، وهي: أن يبدأ الإقتران في اليوم السابق لبدء الشهر ثم غروب الشمس ثم غروب الهلال مع زاوية ارتفاع القمر عن الأفق تساوي على الأقل ٥ درجات، وزاوية إنفصال القمر عن الشمس تساوي على الأقل ٧ درجات، وذلك لأي شهر قمري.

لم تتطابق الرؤية التقليدية المتبعة في السعودية مع الحسابات الفلكية العلمية في إعلان دخول شهر رمضان سوى ست مرات من أصل ٤٦ مرة

وما توصل إليه عدنان قاضي في دراسته العلمية، في ضوء مقررات مؤتمر استانبول يثير الدهشة. يقول قاضي: لم يحصل قط أن أظهر الحساب العلمي الفلكي أن رمضان كان من المفروض أن يدخل قبل إعلانه رسمياً خلال الفترة، بين الغروبين، وإلا طغى...



Ramadan 1425 AH by Alireza Mehrani

لقد كان أهل الرؤية دائما سبّاقين، وأن طريقة الرؤية التقليدية المتبعة وافقت الحساب العلمي الفلكي في إعلان دخول رمضان في ٦ من ٤٦ مرة، أو بنسبة ١٣٪، وعارضت طريقة الرؤية التقليدية المتبعة الحساب العلمي الفلكي في إعلان دخول رمضان في ٤٠ من ٤٦ مرة أو بنسبة ٨٧٪. وفي ليلة إعلان دخول رمضان كان الهلال، بعد غروب الشمس، تحت الأفق في ٢٩ من الـ ٤٠ مرة، أو بنسبة ٦٣٪ لكل الفترة، وأن الـ ١١ مرة الباقية كان الهلال في ليلة إعلان دخول رمضان فوق الأفق ما بين ١ إلى ٣ لزاوية الإرتفاع، وهي أقل من القيمة المطلوبة وهي ٥. وفي ليلة إعلان دخول رمضان كان الهلال تحت الأفق من ´٥ إلى ٢١ درجةً في ١٠ مرات من الـ ٢٩ مرة، بحيث إنه لا بد من مضي يومين لدخول رمضان، وهذه أقصى مدة سجلت، بينما في ١٩ مرة من الـ ٢٩ مرة كان الهلال تحت الأفق بحيث إنه لا بد من مضي يوم آخر لدخول رمضان، وكانت هناك ١٣ مرة ولد الهلال في صباح نفس اليوم أي ما بين الساعة ١٢ صباحاً و١١.٥٩ صباحاً، بالتوقيت الزواليً الذي أعلن أنه بداية رمضان، ومرة واحدة في مساء نفس اليوم قبل غروب الشمس، وهو رمضان ١٤١٢هـ. وكانت هناك ٣ مرات من ٣٦ مرة ولد الهلال فيها قبل يومين من إعلان بدء رمضان ´١٤٩٤ و١٤٢٣ و١٤٢٤هـ، وسجلت سنة ١٤٠٤هـ أعلى زاوية ارتفاع للقمر فوق الأفق ´١٠ درجاتٍ لكل الفترة، وسجلت سنة ١٤١٢هـ أدنى زاوية ارتفاع تحت الأفق ´١٢ درجةً لكل الفترة. أما أكبر زاوية انفصال للقمر عن الشمس فقد سجلت سنة ١٤٢٤هـ لكل الفترة، بينما سجلت سنة ١٣٨٢هـ أصغر زاوية إنفصال لكل الفترة. ويعتبر إعلان بدء رمضان ١٤١٢هـ يوم الأربعاء ١٩٩٢/٣/٤ أسوأ إعلان لكل الفترة من حيث بعد الرؤية التقليدية المتبعة عن التوافق العلمي الفلكي، حيث وافق أدنى درجة كان الهلال فيها تحت الأفق ´١٢ درجةً، وبعبارة زمنية، غرب الهلال قبل غروب الشمس بـ ٥٠ دقيقة، في يوم الثلاثاء ٩ شعبان ١٤١٢هـ، حسب تقويم أم القرى ´٣ مارس ١٩٩٢ً، حيث ولد الهلال الساعة ٤.٢٣ من مساء يوم الأربعاء ٤ مارس ١٩٩٢ والناس صائمون. والحقيقة، أنه حتى يوم الخميس (دع عنك الأربعاء) ما كان ليكون بداية رمضان، فالجمعة هو اليوم الأصح.

ما يقرره علماء السعودية يناقض العقل والعلم:

فلكيون يطالبون السعودية بالتراجع عن فتاواها

قدّم إثنان وعشرون عالماً فلكياً من أرجاء العالم الإسلامي مطالبة للحكومة السعودية بالتراجع عن إعلانها رؤية هلال ذي الحجة يوم الأحد الموافق ٩ ديسمبر الماضي، وفيما يلي نص البيان:

الحمد لله مبدع الكون وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وبعد فإنطلاقا من قول المولى عز وجلّ في محكم التنزيل (وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى) وقوله (والشمس والقمر بحسبان) وقول الرسول الكريم 'صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته وإذا غمّ عليكم فقدّروا له'، ومواصلة لمسيرة الرقي والتطوير التي يشهدها عالمنا العربي والإسلامي في مختلف جوانب الحياة فإن وازعنا الإسلامي يملي علينا واجباً نحو أمتنا الإسلامية وتطالبنا بالوفاء بالعهد وتوضيح جوانب القضية لأصحاب القرار في أوطاننا العزيزة، وعليه وجب علينا توضيح ملابسات رؤية هلال شهر ذي الحجة ١٤٢٨ هـ. وقد جرت العادة أن يعلق المشروع الإسلامي لرصد الأهلة على البدايات الخاطئة للأشهر الهجرية بإسمه لوحده، إلا أن الخطأ الجلي هذه المرة بإعلان المملكة العربية السعودية رؤية الهلال يوم الأحد ٠٩ كانون أول/ديسمبر ٢٠٠٧ (وأن الإثنين هو أول أيام شهر ذي الحجة وأن أول أيام عيد الأضحى هو يوم الأربعاء) إستدعى من المشروع الإسلامي تكثيف الجهود واستشارة العديد من علماء الفلك والشريعة في العالم العربي والإسلامي، وكتابة هذا البيان الموضح للحقائق العلمية لرؤية هلال شهر ذي الحجة موقعاً عليه عدد كبير من المختصين في مجال رؤية الهلال من العلماء العرب والمسلمين، كما هو موضّح في نهاية هذا البيان.

فهذه هي ليست المرة الأولى التي تعلن فيها رؤية الهلال والقمر غير موجود في السماء أصلا! فمن المعلوم أن تحري الهلال يتم بعد غروب الشمس قريباً من المنطقة التي غربت عندها الشمس، حيث يتواجد الهلال الجديد بالقرب من الشمس دائما، فإن ثبتت رؤيته كان اليوم التالي أول أيام الشهر وإلا كان اليوم التالي هو المتمم ويبدأ الشهر الجديد في اليوم الذي يليه، فأما بالنسبة لوضع القمر يوم الأحد فقد غاب القمر قبل غروب الشمس في جميع مناطق العالم الإسلامي، فعلى سبيل المثال غرب القمر في عمّان والقدس الشريف قبل ٢٩ دقيقة من غروب الشمس، وفي القاهرة والمنامة قبل ٢٧ دقيقة، وفي أبوظبي والدوحة ومسقط قبل ٢٦ دقيقة، وفي الرباط قبل ٢٥ دقيقة، وفي مكة المكرمة قبل ٢٢ دقيقة، وفي نواكشوط قبل ١٣ دقيقة، وجميع هذه القيم تعني إستحالة رؤية الهلال يوم الأحد من جميع هذه المناطق لعدم وجود القمر في السماء بعد غروب الشمس، فيا ترى كيف شاهد هؤلاء الشهود العدول الهلال بعد غروب الشمس وقد غرب القمر أصلا قبل غروب الشمس! بل إن الإقتران المركزي وهو نفسه المحاق (وهو ما يسميه البعض خطأً تولد الهلال) قد حدث يوم الأحد بعد غروب الشمس في معظم مناطق العالم الإسلامي، حيث حدث الإقتران في الساعة ١٧:٤٠ بتوقيت غرينتش، ويحتاج القمر للإنتقال من المحاق إلى الهلال لحوالي ١٢ إلى ١٨ ساعة! أي أن الشهود العدول قد رأوا الهلال قبل تشكله بحوالي ٢٤ ساعة!! وعليه يجب التثبّت من صحة هذه البلاغات بالوسائل المتاحة في هذا العهد الزاهر، وكما هو معمول به في التحريات الجنائية والقضائية، وفي مجال التشخيص الطبي، والدراسات الميدانية والتجريبية الأخرى.

إن قبول مثل هذه الشهادات لا يدل إلا على عدم الإلمام التام بثوابت علمية أضحت الآن من المسلّمات، والشاهد على صحتها العديد من الأدلة التي نراها كل يوم! أما آن للمسؤولين أن يعلموا بأن الرجوع إلى المعطيات العلمية ستفند مثل هذه الشهادات الخاطئة، وهي السبيل الأمثل للعمل بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم 'لا تصوموا حتى تروا الهلال، ولا تفطروا حتى تروه، فإن غم عليكم فاقدروا له' رواه البخاري ورواه مسلم بلفظ أغمي، بدلا من نصوم لرؤية هذا الكوكب أو تلك الطائرة أو لرؤية سراب! إننا لا نسرد مجرد فرضيات أو أحاديث غير مؤكدة، فقد شاركنا في الجلسات الرسمية لإثبات رؤية الهلال في أكثر من دولة وكنا شهوداً على ما يحدث، فكم من شاهد جاء يحلف برؤية الهلال ولكن بعد مناقشته أكتشفنا أنه رأى كوكب الزهرة، وفي حادثة أخرى كان دخان الطائرات النفاثة هو الهلال! وقد يتساءل أحدهم عن وجه الشبه بين هذه الأجرام و بين الهلال، في الحقيقة لا يوجد وجه شبه فيما بينها على الأغلب، إلا أن عدم دراية المتحري بماهية الهلال يدفعه للإعتقاد بأنه شاهد الهلال لمجرد رؤيته لأي جسم مضيء في السماء! فإذا كان الذي يناقش الشاهد على دراية بأساسيات رؤية الهلال فسيتمكن عندئذ من معرفة ما شاهده هذا الشاهد، أما إن كان من يتلقى الشهادة غير ملم بأساسيات رؤية الهلال فعندها تكمن المشكلة وتقع الأخطاء! فنجد في السنة الشريفة وتطبيق الصحابة الكرام رضي الله عنهم دليلاً واضحاً قطعياً كتثبت القاضي إياس بن معاوية ورد شهادة أحدهما وهو الصحابي الجليل أنس بن مالك عندما رأى شكل هلال بسبب الشعرة المنحنية أمام عينه.



Thul Hijjah 1420 AH by Alireza Mehrani

عودة لهلال شهر ذي الحجة، فعلى الرغم من غروب القمر قبل الشمس

يوم الأحد أعلن مجلس القضاء الأعلى في السعودية رؤية الهلال، وإننا نتساءل كيف تقبل هذه الشهادات على الرغم من وجود الأدلة القطعية التي تؤكد خطأ هذه الشهادات؟ لماذا يتم تجاهل العلم بهذه الطريقة؟ هل يحاول المسؤولون إخبارنا أنهم غير واثقين بدقة الحسابات الفلكية؟ ونستغرب هنا أشد الإستغراب لا لتشكيكهم بالحسابات الفلكية، بل لعدم إهتمامهم بالتأكّد منها، فالتأكّد منها لا يحتاج لجهد ولا حتى لوقت، بل يحتاج لرغبة بذلك وحسب! فها نحن نتحدى أن تخالف مواعيد غروب القمر المواعيد المحسوبة مسبقاً، فقد قال جل وعلى ''الشمس والقمر بحسبان''، فإن كنا لا نرى أحيانا غروب القمر في أول وآخر يومين من الشهر فقد تبقى ٢٥ يوما تقريبا بإمكان أي مشكك أن يراقب بعينه المجردة كيف سيغيب القمر في نفس الدقيقة المحسوبة مسبقاً، إننا على أتم استعداد لتقديم مواعيد غروب القمر لأي منطقة في العالم حتى يتأكد المشككون! يأسفنا ويعيبنا أن نناقش هذه المسألة في القرن الواحد والعشرين في العصر الذي استخدم فيه الغرب الحسابات الفلكية فوصلوا إلى المريخ والزهرة التي نراها من الأرض فيظنها البعض الهلال! هذه هي مواعيد غروب القمر في مكة المكرمة لخمسة أيام قادمة فليراقبوا وليتأكدوا من خطأ بداية شهر ذي الحجة: الأربعاء ١٢ ديسمبر ٢٠٠٧م (٠٣:٢٠)، الخميس (٠٠:٢١)، الجمعة (٥٧:٢١)، السبت (٥٢:٢٢)، الأحد (٤٨:٢٣)، ومما هو أسوأ من ذلك هو إدّعاء البعض أن الحسابات الفلكية دقيقة دائما باستثناء الفترة القريبة من تولّد الهلال، وعلى قدر فداحة هذا الطرح فهو أسهل للدحض، فمواعيد كسوف الشمس محسوبة لأجزاء من الثانية وقد قمنا فعلاً عام ١٩٩٩م بتوقيت الكسوف أمام جموع من الحاضرين وشاهد الحاضرون كيف غادر قرص القمر الشمس في نفس الثانية المحسوبة مسبقا، فحساب موقع القمر لحظة الإقتران مشهود بدقتها بأدلة شاهدها القاصي والداني! في الحقيقة لقد كانت دقة الحسابات الفلكية في العهد البابلي قبل آلاف السنين أكثر دقة من مقدار الخطأ الذي ينسبه البعض للحسابات في عصرنا الحالي.

ومن الجدير بالذكر أن رؤية الهلال يوم الإثنين (دع عنك الأحد) في منطقتنا كانت بغاية الصعوبة أو غير ممكنة،٤ ففي الهند لم يتمكّن أحد من فرق الرصد من رؤية الهلال، وهذا مطابق للحسابات الفلكية المسبقة، وكذلك لم تتمكن فرق التحري الرسمية في باكستان من رؤية الهلال، وفي إيران لم يتمكن الراصدون المزودون بالمناظير الفلكية من رؤية الهلال حتى من قمم الجبال! وفي سلطنة عمان تمت محاولة تحري الهلال باستخدام مراقب فلكية محوسبة بقطر ١٠ بوصة و١٤ بوصة، وكذلك لم يتمكن الراصدون من رؤية الهلال، وفي المملكة المغربية التي تتحرى هلال كل شهر هجري من أكثر من ٢٠٠ موقع وتشارك القوات المسلحة بعملية التحري لم تستطع أي من فرق الرصد رؤية الهلال! وفي الأردن حاول راصدون رؤية الهلال باستخدام مرقب بقطر ١٠إ ولم ير الهلال، وفي الجزائر حاول الراصدون رؤيته باستخدام المناظير ولم ير الهلال أيضاً، وفي مصر لم يتمكّن الراصدون من رؤية الهلال بالعين المجرّدة! ولم يتمكن الراصدون من رؤية الهلال في السعودية حتى باستخدام المرقب، وكذلك لم ير الهلال من الكويت حتى باستخدام المناظير! لاحظ أننا نتحدث عن يوم الإثنين وليس الأحد! فإن كان الشهود العدول قد شاهدوا الهلال بالعين المجردة يوم الأحد فهذا يعني أن الهلال يوم الإثنين هو إبن ليلتين أي أنه كبير وواضح جدا يراه حتى ضعيف البصر، فلماذا يا ترى لم يره المتخصصون من قمم الجبال من مختلف مناطق العالم يوم الإثنين! هل يعقل أن يجعل الله سبحانه وتعالى علامة بدء الشهر عبارة عن علامة معقدة وصعبة لا تتيسر إلا للندرة! ولا تتيسر إلا في منطقة واحدة في العالم دوماً! هذا يتنافى مع حكمة الله عز وجل بجعل علامة بدء الشهر علامة يراها الجميع كمواقيت الصلاة! يستوي فيها العالم والشخص العادي! ولكن بالنسبة لهذا الهلال يبدو أن رؤيته قد تيسّرت للندرة ولم يتمكن المتخصصون من رؤية الهلال في اليوم التالي حتى باستخدام المراقب! فلو علم الأقدمون هذا الواقع لما اخترعوا التلسكوب واكتفوا بالعين المجردة!

وفيما يتعلق ببداية شهر ذي الحجة فقد اتّبعت معظم الدول إعلان السعودية، أما الدول التي تلتزم فعلا برؤية الهلال ولم تر الهلال يوم الإثنين فقد أعلنت بداية شهر ذي الحجة يوم الأربعاء وسيكون عيد



> عام / مجلس القضاء الأعلى / بيان

الرياض30 ذو القعدة 1428 هـ الموافق 10 ديسمبر 2007 م واس
صدر اليوم عن مجلس القضاء الأعلى البيان التالي :
// بيان من مجلس القضاء الأعلى //
الحمد لله وحده والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وبعد : فقد ثبت شرعاً لدى مجلس القضاء الأعلى دخول شهر ذي الحجة لهذا العام 1428 هـ ليلة الاثنين الموافق 10 ديسمبر من عام 2007 م بشهادة عدد من الشهود العدول وبهذا يكون الوقوف بعرفة يوم الثلاثاء 18 ديسمبر عام 2007 م وعيد الأضحى المبارك يوم الأربعاء 19 ديسمبر عام 2007 م .
ومجلس القضاء الأعلى إذ يعلن ذلك لعموم المسلمين يسأل الله جل وعلا أن يكشف عن المسلمين كل كربه ويدفع عنهم كل بلاء وفتنة وأن ييسر لحجاج بيت الله الحرام سبل أداء حجهم ويغفر لنا ولهم الذنوب وأن يتقبل من المسلمين في كل مكان أعمالهم ويتجاوز عن سيئاتهم وأن يجمعهم على الهدى ويؤلف بينهم ويرزقهم القيام بحقوق دين الإسلام وأن ينصرهم بالحق وينصر الحق بهم أنه سميع مجيب .
وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .
مجلس القضاء الأعلى بهيئته الدائمة
ناصر بن إبراهيم الحبيب عضو
غيهب بن محمد الغيهب عضو
محمد بن عبدالله بن الأمير عضو
محمد بن سليمان البدر عضو
صالح بن محمد اللحيدان رئيس المجلس

الأضحى فيها يوم الجمعة ٢١ ديسمبر، ومن هذه الدول الهند وباكستان وإيران والمملكة المغربية. لاحظ الفرق بين عيد السعودية يوم الأربعاء وعيد بقية الدول يوم الجمعة! في حين أعلنت تركيا ودول أخرى أن بداية شهر ذي الحجة هي يوم الثلاثاء وأن الخميس هو أول أيام عيد الأضحى. هل يعقل أن يختلف العالم الإسلامي في يوم عيده بمدة ثلاثة أيام، وقد حدث في بعض السنوات أن كانت مدة الإختلاف تصل إلى أربعة أيام!

وتجدر الإشارة إلى خطأ معلومة انتشرت حتى اعتقدها البعض مسلمة وهي وجوب اتباع السعودية في شهر ذي الحجة نظرا للحج، وهذا غير صحيح لا من الناحية المنطقية ولا العلمية ولا حتى الشرعية، فأما بالنسبة للحاج الذاهب إلى السعودية فعليه الإلتزام بما أعلنته السعودية، وأما بالنسبة لموعد عيد الأضحى في الدول الإسلامية، فمنذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وكل منطقة تتبع رؤيتها وذلك لتعذّر الإتصال بين المناطق المتباعدة والذي لم يصبح متيسراً إلا في آخر ٥٠ إلى ١٠٠ سنة خلت فقط! والحالة التي تؤكد بطلان هذه الفرضية هي عندما لا يرى الهلال في السعودية في حين أنه يرى في المناطق الغربية، إذ أنه من المعلوم أن رؤية الهلال تصبح أسهل كلما اتجهنا إلى الغرب، فهل ستهمل المملكة المغربية مثلا رؤية الهلال عندهم ولا تبدأ الشهر لعدم ثبوت رؤية الهلال في السعودية! بالطبع لا، فهذا غير مقبول من جميع الجوانب! وعند سؤال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله حول هذه المسألة أكد عدم ضرورة

إتّباع السعودية إذ أن شهر ذي الحجة كمثله من الأشهر الأخرى وقال في فتواه بتاريخ ١٥ ربيع أول ١٤٢١هـ ما نصه: "الهلال تختلف مطالعه بين أرض و أخرى في رمضان وغيره والحكم واحد في الجميع...."، و قد كان السؤال: "فلقد إطّلعنا على فتوى سماحتكم في كتاب فتاوي إسلامية حول رؤية الهلال في بلد لا تلزم جميع البلاد بأحكامه، فهل ينطبق هذا على رؤية هلال عيد الأضحى (شهر ذي الحجة)؟".

إننا لا ندعو أو نرغب بمخالفة دول معينة أو أننا ندعو لاختلاف الدول الإسلامية في بداية الأشهر، ولكن إذا أردنا الأخذ بمبدأ إتحاد المطالع، فليكن على أساس رؤية صحيحة وليست رؤية نحن متأكدين من خطئها! قال تعالى: "وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان".

إن الخطأ المتكرر في بدايات الأشهر الهجرية في السعودية بات جلياً حتى لغير الفلكيين، وللتدليل على ذلك نقتبس فيما يلي أجزاء من بحث قام بكتابته الأخ محمد بن أحمد التركي. فعل سبيل المثال قال فضيلة الشيخ عبد الله آل محمود مفتي قطر ورئيس المحاكم الشرعية والشئون الدينية رحمه الله: "قد ثبت بالتجربة والإختبار كثرة كذب المدّعين لرؤية الهلال في هذا الزمان؛ وكون الناس يرون الهلال قوياً مضيئاً صباحاً من جهة الشرق ثم يشهد به أحدهم مساء من جهة الغرب وهو مستحيل قطعاً، ويشهدون برؤيته الليلة ثم لا يراه الناس الليلة الثانية من كل ما يؤكد بطلان شهادتهم.. كما شهدوا في زمان فات برؤية هلال شوال وأمر الناس بالفطر فأفطروا، وعند خروجهم إلى مصلى العيد لصلاة العيد انخسفت الشمس والناس في مصلى العيد، ومن المعلوم أن الشمس لا يخسف بها في سنّة الله إلا في اليوم الثامن والعشرين والتاسع والعشرين، أي ليالي الإسرار، كما أن القمر لا ينكسف إلا في ليالي الأبدار؛ أي ثلاث عشرة أو أربع عشرة أو خمس عشرة، كما حقق ذلك أهل المعرفة بالحساب وعلماء الفلك وحققه شيخ الإسلام ابن تيمية في مواضع عديدة وأبطل ما يعارضه.. فالإستمرار على هذا الخطأ الناشئ عن الشهادات المزوّرة لا يجيزه النص ولا القياس، ولن نعذر عند الله وعند خلقه بالسكوت عنه.. فلأن نخطئ في التوثق والإستحياط أولى من أن نخطئ في التساهل والإستعجال." هذه مقتطفات من بحث كتبه الشيخ في ٢٨ ذي القعدة ١٣٩٣هـ!

وقال فضيلة الشيخ عبد الله بن منيع: "أرجو من المجلس الأعلى للقضاء أن يعيد النظر في مسلكه وأن يبعد بلادنا عن الإنتقادات المتكررة في إثبات دخول الشهر وخروجه وما يقع لأولئك من أدلة على عدم التثبت وذلك بكسوف الشمس ليلة إثباته في حالات وقعت". قال هذا في كلام له نشر في العدد ٦٢٢ من جريدة (المسلمون) في شعبان ١٤١٧هـ. وقال الشيخ عبد الله آل محمود في رسالته للعلماء بعد خطأ شوال ١٤٠٠هـ: "إن الهلال لن يُطلب من جحور الجرذان والضبان بحيث يراه واحد دون الناس كلهم! وإنما نصبه الله في السماء لاهتداء جميع الناس في صومهم وحجهم وسائر مواقيتهم الزمانية: ?ويسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج? وما كان ميقاتا للناس لزم أن يشاهدوه جلياً كمشاهدتهم لطلوع الفجر عندما يريدون الإمساك للصوم وعندما يريدون صلاة الفجر، وقال: ?هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق? فيا معشر علماء الإسلام أنقذونا وأنقذوا أنفسكم وأنقذوا الناس معكم من هذا الخطأ المتكرر كل عام حتى صار عند أكثر الناس من المألوف المعروف.

إننا نأمل أن تتراجع السعودية عن هذا الإعلان الخاطئ كما تراجعت عنه عام ١٤١٦ هـ، حيث أعلنت في البداية أن الخميس ١٨ نيسان/ إبريل ١٩٩٦م هو أول أيام شهر ذي الحجة، وفي اليوم التالي ادركت السعودية خطأ هذا الإعلان وأعلنت رسميا أن الجمعة ١٩ نيسان/ إبريل ١٩٩٦م هو أول أيام شهر ذي الحجة، ويمكن الرجوع للصحف السعودية لمن شاء التأكد من ذلك. فالرجوع للحق والتمسك به نهج المصطفى وخلق حميد ومن خصال المؤمنين.

وأخيرا لمعرفة نتائج رصد هلال شهر ذي الحجة يمكن زيارة موقع المشروع الإسلامي لرصد الأهلة على شبكة الإنترنت على العنوان (http://www.icoproject.org) حيث أنشئ المشروع عام ١٩٩٨م ويضم حاليا أكثر من ٣٥٠ عضو من علماء ومهتمين برصد الأهلة والتقاويم من مختلف بقاع المعمورة، هذا ويشجع المشروع المهتمين في مختلف دول العالم على تحري الهلال وإرسال نتائج رصدهم إلى المشروع عن طريق موقعه على شبكة الإنترنت. اللهم هل بلغنا اللهم فاشهد، اللهم وفقنا للعمل بما علمتنا ونشره، ربنا لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وخالق السموات والأرض.

33-Hour Crescent

Ramadan 1422 AH by Asadollah Mohammadi



الموقعون

د. خالد الزعاق/ مدير مرصد بريدة ـ السعودية.
م. صخر سيف/ جمعية الإمارات للفلك وعضو لجنة تحري الهلال الرسمية في الإمارات.
د. إلياس محمد فرنيني/ أستاذ مشارك ـ فيزياء الفلك ـ جامعة الإمارات العربية المتحدة.
السيد صالح محمد الصعب/ رئيس قسم الفلك بمدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية سابقا ـ السعودية.
د.هيمن زين العابدين متولي/ مدرس الفلك وعلوم الفضاء بكلية العلوم ـ جامعة القاهرة ـ مصر.
السيد جلال علي الجهاني/ مدرس الفقه وأصوله ـ جامعة روتردام الإسلامية ـ هولندا.
أ.د. شرف القضاة/ أستاذ الحديث النبوي الشريف ـ كلية الشريعة ـ الجامعة الأردنية ـ الأردن.
م. محمد البوسعيدي/ خبير فلكي ـ شؤون البلاط السلطاني، سلطنة عمان.
السيد سليمان البوسعيدي/ فلكي ـ شؤون البلاط السلطاني، سلطنة عمان.
د. صالح بن محمد العجيري/ الخبير الفلكي المعروف ـ الكويت.
د. نضال قسوم/ أستاذ الفلك ـ الجامعة الأمريكية في الشارقة ـ الإمارات.
م. محمد شوكت عودة/ رئيس لجنة رصد الأهلة والمواقيت في الجمعية الفلكية الأردنية ـ الأردن.
أ.د. محمد عبد العزيز راسم/ أستاذ الفيزياء الفلكية بكلية العلوم ـ جامعة القاهرة ـ مصر.
الشيخ الخمّار عبدالعزيز البقالي/ رئيس جمعية الأئمة ـ هولندا.
السيد حسن أحمد الحريري/ رئيس مجموعة دبي للفلك ـ الإمارات.
د. خالد السبيعي/ عضو الجمعية الفلكية الأمريكية والجمعية الفلكية الملكية. دولة قطر.
السيد عدنان عبدالمنعم قاضي/ باحث فلكي في الشؤون الإسلامية، السعودية.
أ.د. جمال ميموني/ أستاذ الفلك في جامعة مينتوري ـ قسنطينة ـ الجزائر.
م. علي العمراوي/ الجمعية الفلكية المغربية ـ المملكة المغربية.
د. معاوية شداد/ أستاذ الفلك ـ جامعة الخرطوم ـ السودان.
د. عبد الخالق الشدادي/ أستاذ الفلك ـ المدرسة المحمدية للمهندسين، جامعة محمد الخامس، الرباط ـ المغرب
د.م. جلال الدين خانجي/ خبير فلك شرعي ـ عضو المشروع الاسلامي لرصد الأهلة ـ حلب ـ سورية.

السعودية والعراق: الإلتفاف بسياسة جديدة

ناصر عنقاوي

خلال الأشهر الستة الماضية ظهر وكأن الحكومة السعودية قد استقرّت على تبنّي سياسة جديدة تجاه الوضع في العراق.

السياسة القديمة كانت تعتمد وجهين: تمويل العنف في العراق عبر بعض مشائخها، من خلال ارسال الأموال والرجال للقيام بأعمال التفجير. هذا من جهة، فيما تقوم الحكومة السعودية من جهة أخرى بإدانة ما يجري ودعمها للسياسة الأميركية بشكل عام. وقد احتفظت الحكومة السعودية بهامش من الإستقلال في الرأي بشأن الموضوع العراقي، مخالف للرؤية الأميركية، فهي قد رفضت الإعتراف بالحكومة العراقية المنتخبة، وطالبت بالمزيد من السلطات للسنّة العرب، كما أنها أدانت النفوذ الإيراني في العراق، وهددت بإرسال جيوشها لمقاتلة الإيرانيين حسب ما كتب نواف عبيد في إحدى الصحف الأميركية.

كانت للسعودية مصلحة في إفشال الجهود الأميركية في العراق، حتى لا تتحول قوات المارينز للعمل في مهمة أخرى، قد تكون السعودية نفسها ساحتها. اتفق معها في هذا الرأي ـ والفعل ـ كل من سوريا وإيران اللتان ساهمتا في توريط القوات الأميركية وإشغالها حتى أذنيها في المستنقع العراقي. لكن ما بعد هذا التوريط الأميركي، الذي أريد منه حماية السعودية نفسها، فإن الدول الثلاث تختلف في الصورة التي يجب أن يكون عليها العراق.


علاوي: رجل السعودية

السعودية كانت ترفض ـ وبشكل قاطع ـ التحاكم الى صناديق الإقتراعات التي ستأتي بأغلبية شيعية أياً كان ميلها السياسي أو أيديولوجيتها السياسية. كان خيار السعودية هو إعادة حكم البعث القديم بوجوه جديدة.

غير أن السعودية خلال الأشهر الماضية بدت مختلفة بنحو ما.

هي لم تغيّر موقفها من الحكومة العراقية، ولم تفتح سفارتها في بغداد بالرغم من أنها قالت بأنها ستقوم بذلك قريباً حينما كانت تتعرض لضغوط مسؤولين أميركيين ـ وبينهم زلماي خليل زاد ـ كانوا يتهمونها بتمويل العنف في العراق بالمال والرجال، وبأنها لا تبذل جهوداً كافية لدى حلفائها في العراق لإيقاف العنف وتهيئة الأرضية للمصالحة الوطنية. في تلك الأثناء كانت الولايات المتحدة تستعد لتطبيق خطتها الأمنية، وكانت بضغطها على السعودية تستهدف تحييد تأثيراتها السلبية وإن لم تكن تطمع في تعاونها الجاد، كونها في الأساس لا تمتلك أوراقاً كبيرة لتلعبها، عدا اوراق التخريب عبر الدعم المالي والبشري لجماعة القاعدة والذي كان يمرّر اليها عبر المشايخ المقربين من الأميرين سلطان ونايف.

في تلك الفترة ظهر وكأن السعودية قد غيرت اتجاهها، وأعلن سعود الفيصل عن قرب فتح سفارة بلاده في بغداد. ولكنه لم يفعل ذلك حتى الآن، وكأن فتح السفارة لازال يستخدم كورقة سياسية ضاغطة على الحكومة العراقية التي يسيطر عليها الشيعة والأكراد بشكل كبير.

حين تم تطبيق خطة أمن بغداد، وظهرت بعض النجاحات الملموسة، مترادفاً مع مواجهات بين عشائر الأنبار وأتباع القاعدة وتطهير المنطقة من الأخيرين.. وفي الوقت الذي جرى فيه (تفاهم ما) بين سوريا وإيران من جهة والأميركيين بشأن الوضع العراقي، ظهر أن هناك تغيراً في (التكتيك) السعودي في الموقف من الوضع العراقي برمته.

فمن جهة زادت الحملة الداخلية ضدّ إرسال سعوديين للقتال في العراق وفي غيره (لبنان مثلاً) حيث ظهر أن السعوديين يساقون الى الموت وهم ينظرون، بلا هدف ولا قضية.. في هذا السياق جاءت تصريحات المفتي المحذرة من القتال في الخارج، وكذلك تصريحات الشيخ العودة التي فسرت على أنها ضد ابن لادن.

ومن جهة ثانية ظهر أن الضحايا السعوديين كثر في العراق، ولربما كان كثيراً من المقاتلين السعوديين قد قتلوا على يد العراقيين من التنظيمات التي كانت حليفة بالأمس لتنظيم القاعدة وللعشائر (العرب السنّة) الأمر الذي أشعل مرارة في النفوس بين أهالي الضحايا الذين تعودوا على إقامة مجالس العزاء بشكل متواتر.

ومن جهة ثالثة نجحت السعودية في إقناع الولايات المتحدة الأميركية بأولوية مواجهة الخطر الإيراني في العراق، وقد استجاب بوش لهواجس حلفائه المصريين والأردنيين والسعوديين، وتصاعدت حمّى المواجهة السياسية والإعلامية بين ايران وأميركا، ومما زادها لهيباً الملف النووي الإيراني.


الأمير مقرن رئيس الإستخبارات

أما الموقف من الحكومة العراقية الحالية، فقد رأت السعودية صعوبة اقتلاعها شعبياً، أو عبر صناديق الإنتخابات، أو إلغاء العملية الإنتخابية، أو إسقاطها بالعنف، وهي قضايا كان السعوديون يراهنون على حدوثها. الذي ظهر مؤخراً هو أن السعودية تتحرك في مسارين:

الأول ـ تشجيع من يستمع لها بين العراقيين بالدخول في العملية السياسية واستحصال ما يمكن استحصاله من مغانم السلطة، وزيادة رصيدها بشكل تدريجي مع توفير غطاء سياسي عربي ضاغط على الحكومة العراقية لتقديم المزيد من التنازلات.

الثاني ـ الإطاحة بطاقم الحكم القائم في العراق، وهو هدف قديم لم تتخلّ عنه السعودية. لكن الجديد هذه المرة هو أن البديل ليس العودة الى حكم الأقليّة القديم، بل الإتيان بوجه شيعي (إياد علاوي) يتولى الإطاحة بـ (العمائم) عبر تعاونه مع بقايا النظام السابق، وعبر التغلغل في جهاز الدولة. ويبدو أن حكومة المالكي قد تنبهت لذلك، فأعلنت قبل بضعة أشهر تحذيراً مبطناً لبعض الدول دون تسميتها، كما أن تلك الحكومة تأخذ على علاوي بأنه وراء دعم جماعة (الزركة) التي خططت لاحتلال النجف وقتل المراجع الدينية فيها، وأن الحكومة السعودية بشخص الأمير مقرن، رئيس الإستخبارات، ضالع فيها.

أياً تكن الأحوال، فإن مستقبل العلاقات العراقية السعودية غامض، حيث تحمل الحكومة العراقية السعودية مسؤولية الكثير من الدماء التي سالت على يد مقاتلي القاعدة الذين هم في أكثرهم جاؤوا من السعودية، كما أن الأخيرة لم تتوقف ـ بنظر المسؤولين العراقيين ـ عن تصميمها في الإطاحة بكل المشروع السياسي القائم.

هل تغيّرت الرؤية أم تمّ تدجين الوهابية؟!

أول استطلاع للرأي العام في السعودية

سعد الشريف

ثمة عوامل سيكولوجية، وسياسية، وأيديولوجية، تتداخل في تحديد إتجاهات الرأي العام في أي بلد، ومهما قيل عن هامش الخطأ، فإن حسابات علمية في هذا الصدد تبدو صعبة بالنسبة لأولئك الذين لا يملكون خلفية ثقافية وإجتماعية وسياسية عن المجتمعات أو الفئات المستهدفة بالإستطلاع.

في ١٨ ديسمبر الماضي، أعلن باحثون أميركيون في مؤسسة (غد خال من الإرهاب) تتخذ من واشنطن مقراً لها، أنهم أجروا إستطلاعاً للرأي غير مسبوق في السعودية عبر الهاتف. وتبيّن من نتائج الإستطلاع، حسب الباحثين، أن معظم السعوديين يعارضون تنظيم القاعدة ويرغبون بعلاقات أوثق مع الولايات المتحدة، غير أن غالبية منهم تعارض إقامة سلام مع إسرائيل، وسط رفض لإمكانية أن تطور إيران سلاحاً نووياً، وتأييد أكثر من النصف لأن تحوز المملكة على سلاح مماثل.

ويقول الباحثون بأن استطلاع آراء ١١٠٤ مواطنين سعوديين في الفترة ما بين ٣٠ أكتوبر و٥ ديسمبر سنة ٢٠٠٧، مع خطأ بنسبة ٣ بالمئة حمله الإستطلاع، كشف عن أن ١٠ في المئة من السعوديين لديهم (رأي إيجابي) حول تنظيم القاعدة، وأن ١٥ في المئة منهم قالوا أن (رأيهم إيجابي) في زعيم التنظيم السعودي أسامة بن لادن. كما قال ٨٥ في المئة من هؤلاء أن إنسحاب الإحتلال الاميركي من العراق، سيحسن من وجهة نظرهم تجاه الولايات المتحدة.

وللسعوديين وجهة نظر أفضل نحو الولايات المتحدة مما هي عليه في باقي دول العالم الإسلامي، حيث قال ٤٠ في المئة منهم إن نظرتهم إيجابية تجاهها (١١ في المئة في مارس العام ٢٠٠٦)، مقارنة مع ١٩ في المئة من الباكستانيين، و٢١ في المئة من المصريين، و٩ في المئة من الأتراك.

وبشأن العلاقة مع طهران، قال ٤٦ من المستطلعين أنهم ينظرون بإيجابية إلى إيران، في مقابل ٤٣ في المئة يبدون وجه نظر سلبية. ورفض ٥٧ في المئة من هؤلاء أن تطور إيران سلاحاً نووياً، في مقابل تأييد ٢٥ في المئة، فيما عبّر ٥٢ في المئة منهم عن رغبتهم في أن تطوّر السعودية سلاحاً نووياً، في مقابل رفض ٣١ في المئة.

وحول الصراع العربي الاسرائيلي، قال ٣٠ في المئة من المستطلعين أنهم يؤيّدون توقيع إتفاقية سلام مع إسرائيل في حال قيام الدولة الفلسطينية، في حين عبّر ٥١ في المئة عن تأييدهم لاستمرار قتال إسرائيل حتى القضاء عليها. وأيّد ٣٣ في المئة من السعوديين تعزيز الدور الأميركي في عملية السلام، في مقابل ٤٤ في المئة. وقال ٦ في المئة من هؤلاء أنهم ينظرون بإيجابية إلى اليهود، في حين قال ٨٩ في المئة أنهم لا ينظرون بايجابية.

كما أظهر الإستطلاع أن ٣٣ في المئة من السعوديين ينظرون بإيجابية إلى (حزب الله)، مقارنة مع ٤٢ في المئة ينظرون إليه بطريقة سلبية، في حين أن ٣٧ في المئة ينظرون إلى حماس بطريقة إيجابية، مقارنة مع ٣٨ في المئة ينظرون إليها بطريقة سلبية.

في تحيل نتائج الإستطلاع يجدر الإلتفات الى عوامل رئيسية تسهم في ضبط إتجاهات الرأي العام:

أولاً: أن الإستطلاع جاء في مناخ تصعيدي ضد تنظيم القاعدة في سياق الحرب على الإرهاب، ما يجعل توجيه مواقف الشارع محكوماً بطبيعة المناخ الموتور.

ثانياً: أن الإستطلاع جرى في ظل شحن سياسي كثيف بمفعول مذهبي لافت، سواء على مستوى الخلاف بين إيران والغرب بشأن البرنامج النووي، أو بين إيران والسعودية على مستوى النفوذ الإقليمي، في مناطق محددة: العراق، لبنان، وفلسطين، وهذا الشحن الكثيف بنبرته العدائية فرض نفسه على إتجاهات الرأي العام، بالنظر إلى الفارق الشاسع بين حجم وتأثير وسائل الإعلام التي تنتصر لوجهة نظر معينة.

ثالثاً: أن الإستطلاع تمّ في بلد لا يتمتع سكّانه بالحرية التامة وحكم القانون، الأمر الذي يملي على الأشخاص المستهدفين إختيار إجابات غير مهددة لأوضاعهم، بصرف النظر عن طبيعة مصادر التهديد، حقيقية كانت أم متخيلة، ولكن لا يمكن إلغاء وجودها، خصوصاً مع وجود شهادات ووقائع تؤكّد أن التعبير عن الرأي ليس مكفولاً من الناحية القانونية أو مأمون العواقب، وما تعكسه على سيكولوجية المستطلعين وتوجيه مواقفهم.

رابعاً: أن جهة الإستطلاع ليست مقبولة لدى الرأي العام في السعودية، بفعل الصورة النمطية حول الولايات المتحدة والتي ساهمت في صنعها السياسات الأميركية في المنطقة. وقد تأخذ الإجابات، أحياناً، منحى معاكساً من خلال إعطاء إجابات مرضية إحساساً من المستطلعين أنهم يخضعون لمراقبة أجهزة إستخبارية، ما يجعل بعضهم على الأقل يتبنى مواقف أقرب الى الحكومة منها إلى قناعات شخصية صلبة.

خامساً: أن الفئة المشاركة في الإستطلاع لا تكتسب صفة تمثيلية، لغياب معيارية واضحة عمرية أو سياسية أو إجتماعية أو إقتصادية، وخصوصاً في بلد يصعب فيه تصنيف الأفراد وفق معايير محددة.

عائدون من غوانتنامو
العودة أخطر من إبن لادن!

كان كثيرون بانتظار أن يقدم رموز

الصحوة الدينية، الذين شاركوا في تعميم ثقافة التشدد خلال العقدين الماضيين على مراجعة فكرية تفضي الى التراجع عن آراء ذات طبيعة عقدية متطرفة، بعد أن تخلوا عن بعضها أو تبيّنوا خطر بقائها وتداولها بين الشباب، الذين خضعوا تحت تأثيرها وأحالوها إلى مسوّغات شرعية بتنفيذ عمليات تفجير أو أصبحوا أعضاء في جماعات مسلّحة أشاعت الرعب والموت بين الأبرياء في الداخل والخارج.

الشيخ سلمان العودة، أحد أبرز رموز الصحوة في السعودية، كان أحد الفاعلين الرئيسيين منذ بداية التسعينيات في حركة الأفكار المتشددة، والذي شكّلت كتاباته وخطبه مرجعية أساسية لدى كثير من العناصر القاعدية التي ترجمت الأفكار إلى أفعال تدميرية. منذ هجمات الحادي عشر من سبتمبر، وبدء حملة دولية لملاحقة المنابع الفكرية للتطرّف حيث أصبحت (العقيدة السلفية الوهابية) في مركز الإستهداف العالمي، قرر العودة التصدي لتلك الحملة عبر تطوير خطاب سلفي بنكهة معتدلة، في خطوة تشبه الى حد كبير عملية تغيير الأقنعة، وإعادة طلاء وجه الدولة السعودية، درءً لعقوبات مباشرة كان المجتمع الدولي يوشك أن يفرضها على المؤسسة الدينية بمجالات عملها.

دور العودة الجديد، لم يتزامن مع مراجعة فكرية، وإن بدت لهجته الخطابية معتدلة، فمضامين المواقف العقدية المتشدّدة حافظت على تماسكها. يرفض الشيخ العودة الرجوع الى الماضي، لأن فيه استحقاقاً مؤجّلاً يفرض عليه مراجعة أفكاره المتشددة، بصلاحية مفتوحة ما يجعلها صالحة للتداول والإستعمال والتسويغ الشرعي.

في برنامج (الشريعة والحياة) الذي بثّته قناة (الجزيرة) في ٢٣ ديسمبر الماضي، تهرّب الشيخ العودة من الإجابة عن سؤال التراجع عن الأفكار المتطرفة، وبدا كما لو أنه أراد ألا يفتح ملف المراجعة الفكرية، كونها تتطلب عملية جراحية قاسية، تطيح رمزية الشيخ العودة، وسط مؤيديه، ويخشى أن يكون هدفاً للمتضررين والضحايا الذين لا يعجب الشيخ العودة أن يكون في دائرة إنتقاداتهم، فهو ينبذ الفحص من قبل من يصنّفهم في خانة (الخصوم).

وفيما يرفض الشيخ العودة أن يتولى بنفسه إجراء مراجعة لأفكاره السابقة، وفي ظل غياب مراجعة فكرية مهما كان مصدرها والجهة التي تقف ورائها، وبصرف النظر عن نبل أهدافها، تولى بعض ضحايا الفكر المتطرف إجراء مراجعة عاجلة، تعبّر عن موقف إجمالي من فكر الشيخ العودة، وتأثيره على الشباب، كما يعكس رؤية مكثّفة لدى من عايشوا واعتنقوا ودفعوا ثمن أفكار التطرف.

صحيفة (الوطن) الكويتية نشرت في ٢٤ ديسمبر الماضي تصريحات لعائدين من سجن غوانتنامو، من حملة الجنسية الكويتية، اعتبروا فيها الشيخ سلمان العودة أخطر من إبن لادن. ورأى العائدون من سجون غوانتنامو بأن مفكري الجهاد السابقين والداعين إليه كالشيخ سلمان العودة وسيد إمام الشريف المعروف باسم الدكتور فضل (أخطر من أسامة بن لادن وأيمن الظواهري)، وقالوا بأن (أسامة بريء جداً بالنسبة لفكر ومنهج العودة الذي طالب بالخروج على ولاة أمور المسلمين).

ورأى الكويتي عادل الزامل الذي أعيد إلى البلاد في ٢٠٠٥ أن (فكر العودة أقوى من فكر أسامة بن لادن في الخروج على ولاة أمور المسلمين.. وأكثر الأرواح التي أزهقت والدماء التي سالت وأهدرت في ساحات الجهاد كلها بسبب فكر سلمان العودة الذي كان محرّضاً على القتال، بل إنه سبق أسامة في الحديث عن اليهود ومعاداة الوجود الأمريكي في جزيرة العرب). ويقول: (أسامة مسكين مقارنة بأفكار العودة لكن الأخير متذبذب، ولا يعد من علماء المسلمين أصلا حتى يتكلم في أمور الجهاد). ويضيف (الحكومة الأمريكية تبحث عن أخينا الشيخ سلمان أبو غيث، وهو مجرد متحدث بإسم القاعدة، ولا يحمل فكراً وليس له كتب كي تضعه في غوانتانامو فلماذا تركت الدكتور فضل وسلمان العودة؟).

أما العائد من غوانتانامو سعد العازمي، فتحدث عن معاناة ضيوف المعتقلات الأميركية وما لقوه بداخلها، حيث أكّد بأن الحرّاس في غوانتانامو بصقوا على المصحف الشريف وبالوا عليه ورموه في المراحيض، وعرضوا على المعتقلين الغانيات من أجل الإيقاع بهم. ويضيف :(أشعر أنني مراقب وهناك من يسجّل مكالماتي.. والأمريكان سرقوا مني نحو ١٠٠ ألف دولار ويرفضون إعادتها حتى الآن).

وفيما يخص دور الشيخ سلمان العودة، خاطبه بالقول (أقول للعودة وفضل: إذا كنتما تزعمان أن ما يفعله إبن لادن والظواهري جريمة فهما من تلاميذكما، وإذا تراجع العودة فليس من حقه أن يصف جهاد الآخرين خطأً).

من جهته، يشير عبد الله كامل وهو أحدث الكويتيين العائدين من غوانتانامو بعدما قضى هناك خمسة أعوام أنه وزملاؤه رأوا ألوانا من التعذيب (لم نسمع عنه في أسوأ الديكتاتوريات في العالم). وأضاف (تعلمت أن حقوق الإنسان يجب أن تكون في مقدم الفكر الإسلامي كله).

ويبقى السؤال مفتوحاً، من يتحمّل مسؤولية النتائج الكارثية التي أوصلت إليها تلك الأفكار المتطرفة التي حصدت أرواح أبرياء في أفغانستان، والعراق، ولبنان، ودول خليجية بما فيها المملكة، إضافة الى أرواح أبرياء سقطوا في واشنطن ونيويورك ولندن ومدريد وغيرها، كما أوصلت شباباً يافعين إلى الموت أو السجون أو الضياع، وأحدثت إنقساماً خطيراً بين المسلمين، وتسبّبت في تشويه صورة الإسلام؟ من يجرؤ على فحص تراث مازال شائعاً بين الشباب ويحرّض على قتال الآخر، المسلم المخالف أو غير المسلم؟ لماذا يكتفي المتراجعون بانتقاء أفكار تتصل بسلطتهم الدينية والإجتماعية والدولة التي ينتمون إليهم من أجل إبعاد شبح السقوط والزوال؟ فلماذا تصبح أرواح الأبرياء ذات أهمية ضئيلة بالقياس إلى مكاسب دنيوية.

وإذا كان هؤلاء الضحايا العائدون من غوانتنامو قد أفصحوا عن إنطباعاتهم في دور الأفكار المتشددة التي صاغها الشيخ العودة، ومشايخ آخرون يندرجون في خانة (مشايخ الصحوة)، فإن ثمة ضحايا آخرين كثر ينتظر بوحهم بما أصابهم من مفعولات لأفكار كان الشيخ العودة وزملائه من رجال الصحوة وراء رواجها، أما الذين قضوا نحبهم قاتلين ومقتولين فإن حساباً أخروياً ينتظرهم.

السعودية وإيران ومظلّة أمن الخليج

إختلاف منهجين أم مصالح أمّتين؟

محمد شمس

أثار الجدل حول تحرّش مزعوم لزوارق إيرانية صغيرة بسفن حربية أميركية في مضيق هرمز وما تبعها من ردود فعل أميركية تحذيرية، الحديث مجدداً عن أمن دول الخليج، وأمن الملاحة في الخليج. ذلك الأمن المطلوب ضاع في صخب الأحداث التي مرّت بها المنطقة منذ الحرب العراقية الإيرانية وما تبعها من حرب تحرير الكويت ومن ثم حرب احتلال العراق الى هذا اليوم، حيث التهديد الأميركي بشن حرب جديدة في المنطقة ضد إيران بحجة الملف النووي الإيراني أو بأي حجّة أخرى، بحيث أن ما يقال عن أنه استفزاز صغير قد يشعل نار حرب كبيرة تهدد إمدادات النفط، كما تهدد منشآته على الجانبين، وتدخل الدول الخليجية العربية عنوة في حرب قد لا تكون لها ناقة فيها ولا جمل.

الأزمة: المقدمات والتاريخ

(أمن الخليج) لم يكن في يوم من الأيام مسؤولية دوله على ضفتي الخليج. فقضية الأمن قد تمّ تدويلها منذ القرن الثامن عشر الميلادي، وأصبحت بريطانيا سيدة الخليج وحامي حمى مشيخاته والمنظم للعلاقات بين كثير من دوله حتى غروب القوة البريطانية وانسحابها رسمياً في عام ١٩٧١م.

كان الوجود البريطاني قد حدّ من دور الدول المطلة على الخليج في المساهمة في صناعة مظلّة لأمنه وأمنهم، باعتباره يشكل ما يشبه بحيرة تطل عليها ثمان دول خليجية (دول مجلس التعاون والعراق وإيران) كانت بحاجة الى تحديد حدودها البحرية وتقاسم ثرواته النفطية وحماية الإمدادات النفطية التي تنتجها كل هذه الدول. في فترة الوجود البريطاني، تم تحييد القوة الإيرانية لفترة طويلة، وهي القوة الأكثر تأهيلاً وطموحاً لأخذ مكان الدور البريطاني، وقد ورث شاه ايران الإرث البريطاني، وحاول الإستفراد بدور (شرطي الخليج) لكن تحت (المظلّة الأميركية) التي كانت تنزع لعدم التواجد المباشر في تلك المياه الدافئة.

القوى المهيأة للعب دور في توفير مظلّة أمن الخليج كانت ولاتزال ثلاث قوى تختلف من حيث حجم القوة العسكرية والبشرية والمصالح والطموحات. هذه القوى هي: إيران والعراق والسعودية، حيث تلعب العلاقات بينهما دوراً أساسياً في تشكيل منظومة تحمي مصالح الجميع، كان الشاه يحاول الإستفراد بها، في حين أراد الأميركيون ونجحوا في توسيع دائرة مشاركة السعودية ضمن الإستراتيجية الأميركية التي سميت حينها بـ (العمودين المتساندين) بحيث تشمل تلك الإستراتيجية ليس فقط حماية أمن الخليج بالنيابة عن الغرب من أية عمليات تخريب أو تهديد للدول الخليجية الصغيرة، بل لتمتد لتكون جزءً عضوياً من استراتيجية أميركية/ غربية أبعد تشمل مكافحة التمدد (الشيوعي) لما سمي حينها بمياه الخليج (الدافئة).

إيران الشاه والسعودية كانا محور الإستراتيجية الغربية/ الأميركية، مع غلَبَة للدور الإيراني باعتبار الموقع الجغرافي والقوة البشرية والعسكرية وحقيقة أن ايران تحتل كامل الشاطئ الشرقي للخليج بمسافة تزيد على ٤٠٠ كيلومتراً. أما العراق فقد استثني من التفاهمات، أولاً لطبيعة النظام الثورية المشاكسة للغرب آنئذ، وثانياً لميوله باتجاه المعسكر الشرقي، وثالثاً لدعمه قوى المعارضة في ايران والسعودية. وقد اتفقت السعودية وايران الشاه ـ في المقابل ـ على إيجاد القلاقل في العراق من خلال دعم حركة الملا مصطفى البرزاني كيما يقرّ بالترتيبات الأمنية الجديدة، والتي كان أحد عناوينها تحديد الحقوق المائية في شط العرب، ولم تنته تلك الأزمة إلا بخضوع العراق وتوقيع صدام حسين في الجزائر مع الشاه الإتفاقية المشهورة عام ١٩٧٥م.

لم يدم عمر الإستراتيجية الأميركية (العمودين المتساندين) سوى سنوات قلائل حتى قامت الثورة على الشاه وأسقطته عام ١٩٧٩م، وبالتالي سقطت تلك الإستراتيجية، لأن النظام الجديد كان ـ ولازال ـ معادياً للولايات المتحدة الأميركية، وبالتالي فإن أية تفاهمات أمنيّة تجري تحت مظلّة أميركية لحماية أمن الخليج، لم يكن مقبولاً أن يكون (الإيراني) شريكاً فيها، أو لا تقبل إيران أصلاً المشاركة فيها.

من يحمي الخليج إذن، أو بالأصح من يوفّر المظلّة الأمنية للخليج؟

الإيرانيون والعراقيون متفقون في وجهة النظر القائلة بأن (أمن الخليج) يصنعه (أهل الخليج). وبالتالي فإن هذا الكلام يستبطن حقيقة واضحة، وهي التمييز بين (توفير أمن للخليج ودوله) وبين المشروع الغربي العام القائم على صراع القوى الكبرى ضمن ما سمي بـ (الحرب الباردة). هذا يعني بصورة أوضح: إبعاد القوى العظمى عن مياه الخليج: أميركية أو غربية أو سوفياتية. أي أن دعوة العراق



حاملة طائرات أميركية في الخليج

وإيران كانت قائمة على رفض المظلّة الأميركية فيما يتعلق بمشاريع (حماية الخليج). وهذا إن كان مقبولاً من دولتين: العراق وإيران، فإنه كان مرفوضاً من قبل السعودية. والسبب هو أن الأخيرة ستكون مساهمتها أضعف في مشروع الحماية الذاتي المقترح من القوتين الأخريين، ولهذا انعكاس على نفوذ السعودية السياسي ومكانتها بين دول الخليج

الصغيرة الأخرى. أما إيران والعراق، فقد رأيا أن العامل الدولي لا يعمل لصالحهما في الأساس، فهو عامل (تقييد) سياسي واستراتيجي وأمني.

كيف يكون الحل إذن؟

تمت هندسة جديدة للتحالفات على حساب إيران الثورية، وتمّ إبرام صفقة واسعة للغاية هدفها إخراج إيران من معادلة أمن الخليج بشكل كامل، بل ومحاولة إسقاط نظام حكمها من خلال ترتيبات أميركية سعودية عراقية عبّرت عن نفسها من خلال شن الحرب عليها. اشتركت في تلك الحرب كل الدول الغربية التي أمدت صدام بالمال والسلاح (خاصة فرنسا) كما واصل الإتحاد السوفياتي وقوفه الى جانب العراق وتزويده بالأسلحة. كان هناك ما يشبه الإجماع الدولي على تحطيم إيران. وبالفعل تم تحييدها بشكل شبه كامل طيلة الحرب العراقية الإيرانية ١٩٨٠-١٩٨٨م.

طيلة تلك الحرب التي اتخذت عنوان تحطيم إيران أو (احتواؤها) تشكل تحالف سعودي ـ عراقي نادر في تاريخ العلاقة بين البلدين بمساعدة ومظلة أميركية لتوفير الحماية لإمدادات النفط وحماية دول الخليج. نتذكر أن السفن الأميركية والغربية والمدمرات الحربية وحاملات الطائرات بدأت آنئذ تمخر عباب مياه الخليج بكثافة لم يشهدها التاريخ، كما أن الإيرانيين حاولوا التمرد على تلك المنظومة حين تعرضت سفنها وناقلاتها للتفتيش والقصف العراقي بطائرات فرنسية، فما كان منها إلا أن قامت ببث الألغام البحرية، واشتعلت ما سميت آنئذ بـ (حرب الناقلات).

لقد تسلل الأميركيون أثناء تلك الحرب، وزاد نفوذهم البحري والسياسي وبالتالي دورهم (المباشر) في حماية الخليج، أو حماية مصالحهم في الخليج، في حين تُرك لصدام حسين أمر محاربة ايران بالسلاح، وللسعودية ودول الخليج دور التمويل.

صحا الخليجيون بعد عامين من توقف الحرب على وقع الدبابات العراقية وهي تقرع أبواب قصور الأمراء في الكويت وذلك في أغسطس ١٩٩٠م، فعاد العراق الى خانة (الإتهام والعداء) وتحوّل من (حام) لدول الخليج وأمن الخليج الى (مهدد) من وجهة النظر الخليجية والأميركية، وبالتالي كانت هناك قوّتان من أصل ثلاث قوى خليجية لا ترى الطريقة الأميركية في كيفية توفير مظلة أمن الخليج، بل هي معادية للنفوذ الأميركي.

الأميركيون أخرجوا من المعادلة إيران والعراق معاً، دون أن يكون البديل متوفراً، فالسعودية لا تستطيع حماية أمن الخليج لوحدها، كما هو معلوم بالضرورة، ولا تستطيع مجابهة إيران والعراق مجتمعين أو منفردين، فكيف ستنجح السياسة الأميركية في توفير مظلة آمنة للخليج وفق قاعدة أميركية جديدة سمّوها (الإحتواء المزدوج)؟

البديل كان واضحاً منذ الحرب العراقية الإيرانية: التدخل الأميركي المباشر، وأن تصبح أميركا نفسها حامية الخليج بأساطيلها وقواعدها الجوية والبحرية في كل دوله. وهذا ما كانت تعمل عليه طيلة ربع القرن الماضي، بحيث أن أسطولها البحري الخامس قد وسع نشاطه واتخذ له مقراً دائماً في البحرين، وهناك قواعد السيدية في قطر، وقواعد مصيرة ورأس مسندم في سلطنة عُمان، وحتى الكويت والسعودية اللتان كانتا متحفظتين بقدر على التواجد العسكري الكبير على أراضيهما وافقتا ـ بعد احتلال العراق للكويت ـ على تأسيس قواعد عسكرية أميركية دائمة أو شبه دائمة، انطلقت وأديرت منها (القواعد الأميركية في السعودية) الحرب لاحتلال أفغانستان والعراق.

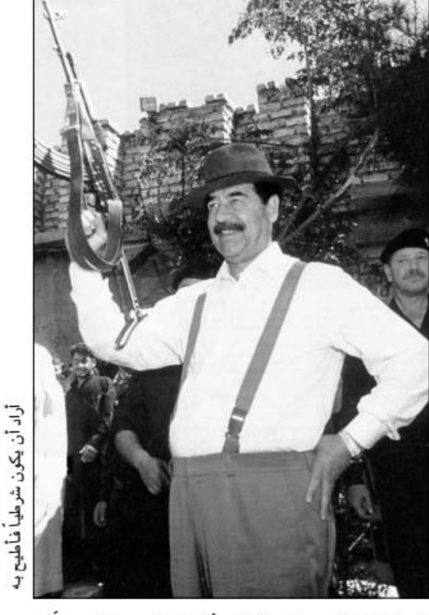
كان من الطبيعي، في ظل الصراع بين القوى الأساسية الثلاث في الخليج (العراق والسعودية وإيران): الخلاف العراقي/ الإيراني منذ قيام الثورة وحتى الآن بعد احتلاله اميركياً، وفي ظل الخلاف السعودي الإيراني، والسعودي العراقي، أن يسقط المشروع الإيراني القائل بأن (حماية الخليج يوفرها سكانه على الضفتين) وأنه لا حاجة لتواجد قوى أجنبية فيه تبتزّ وتهدّد الجميع. المشروع الإيراني سقط رغم التأييد النظري له من قبل العراق ما قبل الإحتلال، فضلاً عن معارضته من العراق ما بعد الإحتلال الأميركي المباشر، حيث لا يمتلك العراق قراره ومصيره!.

بالنسبة للسعودية فإنه لا يوجد لديها مشروع خاص لحماية الخليج، وهي أقرب الى تغليب الصراع مع البلدين الآخرين: العراق وإيران، منها الى التفاهم معهما على أساس المصالح المشتركة.

الحجّة التي تقولها السعودية ودول الخليج هي التالية: إن من يهدد أمن الخليج هو العراق أو إيران أو كليهما، وإن توتير المنطقة جاء منهما، وأنهما تالياً وفرا المبرر لتواجد أميركي عسكري مستديم في دول الخليج التي تخشى على نفسها. ليصل المنطق الى مداه، بأن الوجود الأميركي ـ بغض النظر عن صفته ـ مبرر وهو يوفر الطمأنينة أكثر للسعودية ودول مجلس التعاون الخليجي، من أي ترتيبات أمنية ثلاثية عراقية إيرانية سعودية.

معنى هذا، أن السعودية تستشعر خطراً عليها، وفي نفس الوقت لا تريد درء الخطر بالتفاهم مع مصدر الخطر، الذي هو جار لا يمكنها تغييره، بل بالتحالف ضدّه أو تخويفه بقوات معادية له هي قوات أجنبية خارجية لا تتمتع بصفة الديمومة ولا تحلّ مشكل الأمن، ولو كان الوجود الأميركي يحل المشكلة، لما كان هناك نقاش أصلاً عن الحديث حول (أمن الخليج) ولما كانت هناك دعوات ودراسات حول الترتيبات الأمنية المستقبلية في الخليج.

السعودية في المدى المنظور تنظر الى نظامي الحكم في العراق وإيران بعين القلق، وسيستمر هذا القلق بغض النظر عن صحة مبرراته من عدمها، وهو قلق لا يتوازى مع الخطر الحقيقي الذي يتهدد السعودية ونفوذها السياسي في محيطها الإستراتيجي. سعت السعودية منذ البداية الى تشكيل قوتها الخاصة بها سياسياً والى حدّ ما أمنيّاً عبر اهتبال فرصة انشغال العراق وايران بالحرب فشكلت مجلس التعاون الخليجي لتقوي موقفها أمام القوتين الأخريين، ولكن قوة مجلس التعاون بدت فاشلة على كل الأصعدة الأمنية والسياسية، كما فشلت سياسة التسلح التي عنت ولاتزال تعني مجرد مسكن نفسي لدول الخليج. في الحرب الأميركية على العراق لتحرير الكويت عام ١٩٩١م، والتي شاركت فيها مصر وسوريا، جرى الحديث عن قوة عربية تبعث على اطمئنان الخليجيين الصغار تتشكل من (دول الخليج ومصر والعراق أو ما سمي حينها ٦+٢) ولكن



أراد أن يكون شرطياً فاطيح به

السعودية لم تكن تريد أن يكون لمصر بالذات دوراً في الخليج ينافسها على السيادة على دوله الصغيرة ويقلص من نفوذها، فضلاً عن أنه لا يستطيع مواجهة العراق ولا إيران.

المستقبل مظلم للسعودية

لم يكن الوضع ليستقيم بتهميش العراق وإيران، ولا يمكن أن يتم ذلك خاصة بالنسبة للأخيرة، فمنذ عام ١٩٨٨، عام نهاية الحرب، كان واضحاً أن إيران بدأت ببناء قوتها الذاتية التسليحية والتي ظهر جزء غير قليل من صناعتها للعلن: طائرات حربية وهليوكبتر، صواريخ بعيدة المدى اعتبرت سلاح الفقراء، دبابات وآليات، وغواصات ومدمرات وسفن وزوارق حربية. لا يمكن لسياسة الإحتواء المزدوج أن

تنجح، ولا يمكن لإخراج العراق من المعادلة أن يخرج إيران في المحصلة النهائية إن لم يكن يقويها، وحتى خروج العراق المحتل من معادلة أمن الخليج تعتبر طارئة ومؤقتة.

أما السعودية فهي بسياساتها أضعفت نفسها أكثر مما أضعفت إيران، فاستدعاء القوات الأميركية وتحييد العراق باحتلاله، جعل المنافسة على الخليج تبدو وكأنها بين (أميركا وإيران) ليست السعودية فيه سوى ملحق صغير. السعودية بسياستها الخرقاء جلبت لها منافساً (أجنبياً) همّش دورها على مستوى دول الخليج (دول مجلس التعاون) بحيث أن السعودية نفسها لم تعد قوّة ثالثة. وكما سعت أميركا عبر سياسة الإحتواء لإيران، والإحتلال للعراق، من إضعاف الإستراتيجية الإيرانية والعراقية، فإن أميركا في نفس الوقت قد أخذت دور السعودية وهمّشتها، أولاً عبر العلاقات الأمنية والعسكرية المباشرة مع كل دولة خليجية صغيرة، وثانياً عبر تكسير أية إمكانية لتطوير استراتيجية أمنية مشتركة لدول مجلس التعاون الخليجي تكون للسعودية فيها دور الرائد، وثالثاً لأن السعودية نفسها لم تعد حجراً اساسياً في استراتيجيتها الأمنية الخليجية، حيث تقلصت أهميتها بسبب القواعد العسكرية الجوية والبحرية والبرية.

أميركا تريد سيطرة مباشرة تبعد القوى الثلاث، بحيث لا يعدّ انتصار مشروعها في العراق نصراً للسعودية، بل مشجعاً لأميركا على استثنائها بشكل نهائي، وهذا ما فُهم من خروج القوات الأميركية من قواعدها في السعودية الى دول الخليج المجاورة (السيدية في قطر). لهذا لا نرى اليوم للسعودية دوراً ذا قيمة أو نفوذاً ذا سطوة سياسية كانت أم أمنية أم عسكرية في أي من دول الخليج الصغيرة. اذا احتاجت تلك الدول الى الحماية فهناك أميركا، وليس السعودية التي هي بنفسها بحاجة الى حماية سواء من الأميركي الرابض في الخليج أو من التهديد المحتمل من ايران او العراق. واذا احتاجت تلك الدول الخليجية الى مظلّة سياسية فالأساطيل والقواعد الأميركية توفرها وليس السعودية. وعليه فإن الثمن يدفع لأميركا مباشرة، وليس للسعودية التي تقلصت أهميتها في عيون تلك الدول.


حرب إيران والعراق: تزايد الوجود الأميركي

بدت السعودية في رد فعلها على الإعلان الأميركي من (تحرش) زوارق إيرانية بسفن حربية أميركية في مضيق هرمز، أنها أقرب الى الرؤية الأميركية والى تحميل ايران المسؤولية، بل والى أنها تعتبر إيران مصدر عدم استقرار وتهديد. هذا ما فهم من تصريحات وزير الخارجية السعودي لوسائل الإعلام في ٢٠٠٨/١/٩.

والسعودية هنا لم تشذ عن سيرتها الماضية التي جردتها من قواها ونفوذها حتى بين دول مجلس التعاون، بل هي مستمرة في سياسة متفرجة يلعبها الكبار، ولا تعتبر السعودية فيها سوى برغي صغير في ماكنة أحد المتصارعين (أميركا). ويفضح التعليق السعودي على ما جرى في هرمز (قلة حيلة) المسؤولين السعوديين وعجزهم بل وتركهم الحبل على الغارب دونما محاولة لاستعادة دورهم أو اتخاذ خطوة تقترب من المفهوم الإيراني القائم على المشاركة في توفير الدول المطلة على الخليج لأمنه واستقراره.

ربما كانت أحداث ١١/٩ قد قلّصت هامش المناورة السعودية، التي راحت تخطب ودّ الأميركيين وتستميت لاستعادة التحالف القديم (كما في مواجهة الشيوعية) وإن كان على قاعدة مختلّة بشكل شديد تضحي السعودية من خلالها بالكثير من اتزانها وسيادتها ومصالحها كما مصالح غيرها. واقرب نموذج لذلك: التنازلات الكثيرة التي قدمتها السعودية في القضية الفلسطينية (المبادرة العربية للسلام/ الحرب على حماس والجهاد الإسلامي/ حصار غزة) وكذلك تضحية السعودية بنفوذها في لبنان لصالح فرنسا وأميركا، وقبولها بحصار سوريا سياسياً، وها هي الآن لديها الإستعداد بقدر ما الى دعم الأميركيين في المواجهة مع إيران والتي قد تتخذ طابع المواجهة العسكرية الذي سيشمل السعودية نفسها، ويعرّض منشآتها النفطية لخطر الصواريخ الإيرانية.

ليس هناك من بدائل أمام السعودية في توفير المظلّة الآمنة للخليج، فإما التفاهم مع العراق وإيران، وإما استمرار الصراع وعدم الإستقرار الذي يسببه وجود القواعد والقوات الأميركية وحاملات طائراتها في الخليج. لم ترد دول الخليج على الدعوات الإيرانية لوضع ترتيبات أمنية، وهي دعوات تكررت طيلة العقود الماضية، لأن الضوء الأخضر ليس بيد تلك الدول. وإذا كان موقف الدول الخليجية الصغيرة متفهماً من جهة أنها اختارت أهون الشرين بالنسبة لها (الخضوع لأميركا)، وبالرغم من أن تلك الدول لا تريد حرباً أميركية على إيران، فإنها لا تمتلك قرارها، لكن السعودية لها وضع مختلف من جهة أنها دولة كبيرة ومؤثرة، نظر اليها وكأنها باعت سيادتها بثمن بخس كانت قادرة على توفيره (أي الثمن/ الحماية


الثورة الإيرانية: سقوط الإستراتيجية الأميركية

الأميركية) بطريقة أفضل وبكلفة أقل بل بمردود سياسي أعلى وأمني أكثر استقراراً من المشروع الأميركي.

ظهر في فترة من الفترات وكأن المسؤولين السعوديين غير راضين بوضعهم، فأشار سعود الفيصل في ديسمبر ٢٠٠٦ بأن بلاده لا تمانع في وضع ترتيبات أمنية للخليج، ولكنه أراد اتفاقاً يكون تحت مظلّة دولية وتشارك فيه ـ يا للغرابة ـ الهند بالتحديد، وكأن هناك خشية سعودية من أنها لن تنال نصيبها في عملية تقاسم مسؤولية الأمن وبالتالي النفوذ السياسي في المنطقة، ولهذا جاء الإقتراح بمثابة تعويم للقوة الإيرانية المنافسة.

لكن السؤال الذي يزعج السعوديين اليوم أكثر من غيره هو أنه إذا كانت السعودية ودول الخليج ترى في المواجهة والحرب الأميركية مع ايران مشكلة قد تجر معها خراب الدار، فإن تلك الدول أيضاً تخشى أن يتفق الأميركيون والإيرانيون على تقاسم النفوذ في الخليج والعراق وغيرهما على حساب السعودية بالذات التي فرطت مسبقاً بحقوقها واستقلالها. كأن السعوديين يرون بأن الحرب مع إيران أهون بكثير من التفاهم معها على ترتيبات أمنية. أي أنهم يريدون ـ في الحالة المثالية ـ توتراً وصراعاً منضبطاً بين دول الخليج ـ وأميركا الى جانبهم ـ مع إيران لا يصل الى حد الحرب، ولا يتراجع الى حدّ إعادة العلاقات الأميركية الإيرانية بحيث تشمل الإتفاقات رسم جديد لخطوط المصالح في منطقة الخليج.

لكن الخيارين الحادين الحرب وتقاسم النفوذ هما المسيطران الآن، وحالة اللاحرب واللاسلم تخدم إيران أكثر من غيرها كونها تبني قوة سياسية وعلمية وعسكرية وتكنولوجية هائلة لا قدرة لدول الخليج على مجاراتها ومنافستها.

من هنا يمكن القول بأن لا حلّ دائم أمام السعودية إلا بإعادة تشكيل ترتيبات أمنية خليجية بمشاركة إيران والعراق. في غير هذه الحالة فإن السعودية ودول الخليج عامة ستكون خاسرة في كل الأحوال.

تكفيريون يحاورون تكفيريين

حملة (السكينة) وحوار الحلفاء!

عبد الوهاب فقي

بعد أن طويت صفحة (الحوار الوطني) لأسباب لم تعد مجهولة، حيث كان الهدف من إطلاقه سنة ٢٠٠٣ تسوية مشكلة الدولة مع العالم الخارجي، بتنا نرى الآن شكلاً حوارياً من نوع آخر، وهو حوار داخل إطار السلفية الجهادية، بهدف تسوية مشكلة الدولة مع حليفها السلفي، وإفرازاته الخارجية المنفلتة من عقال العائلة المالكة. في سياق حملة (الحوارات) التي تجريها (لجنة المناصحة) التابعة لوزارة الداخلية من أجل إقناع مقاتلي الجماعات المسلّحة التابعة لشبكة القاعدة والمعتقلين في السجون السعودية بالتخلي عن مناجزة الدولة، تأتي حملة (السكينة) التي تشرف عليها وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، وتضطلع بمحاورة العناصر الخارجة على الدولة السعودية، عبر شبكة الإنترنت، أو اللقاءات المباشرة.

وكانت الحملة قد دعت الرجل الثاني في تنظيم القاعدة أيمن الظواهري في الخامس والعشرين من ديسمبر الماضي للحوار إنطلاقاً من مرجعية النصوص الشرعية من الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح لها في قرون الإسلام الأولى، حسب تصريح المتحدث الرسمي بإسم الحملة الشيخ خالد المشوح. دعوة حملة (السكينة) جاءت في إطار الرد على استعداد الظواهري لخوض حوار مع الأشخاص ووسائل الإعلام حول قضايا الأمة، فأبدى المشوح في لقاء مع صحيفة (الحياة) في ٢٥ ديسمبر الماضي إستعداده للحوار، على أساس أن التقنيات الحديثة توفّر إمكانية ذلك، بل ذهب إلى حد إجراء أي حوار بالطريقة التي يختارها الظواهري (إذا كان الحوار الإلكتروني مدعاة للشك لدى القاعديين ممن لا يهمهم إلا سلامتهم الشخصية، فإننا نرحّب بالتحاور معه عبر أي وسيلة شاء، شريطةً أن تكون منطلقات الحوار علميةً). وقال (إذا وافق فإنّ لدينا من العلماء والمفكرين المؤهلين مَنْ يمكنه إقامة حوار حيادي غير متحيز، يقوم على أسس وضوابط شرعية معه). وكشف المشوح عن حوارات سابقة أجرتها لجان المناصحة مع شخصيات أخرى. وقال (وفي شبكة الفجر طلبْنا محاورته أو مناظرته، لكننا لم نجد منه إجابة بعد).

في ٣٠ يناير ٢٠٠٦، كشف وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد الدكتور صالح آل الشيخ عن تكليف الوزارة ١٢ داعية من الوزارة للحوار مع حملة الأفكار المغالية، وتولوا الرد على ١٨٠٠ شبهة من قبل أرباب الفكر المنحرف، على حد قوله. وكشف الوزير حينذاك بأن عدد الأئمة والخطباء الذين تم إيقافهم سنة ٢٠٠٦ بلغ ٢٥ شخصاً، فيما كان عدد الموقوفين سنة ٢٠٠٥ قد بلغ ١٤٠ إماماً وخطيباً. وفي ٨ أكتوبر ٢٠٠٦، أعلنت حملة (السكينة) عن إطلاق أضخم موقع إلكتروني لمحاربة الإرهاب والتطرف ومناقشة قضايا (التكفير) و(الولاء والبراء)، ووجود الكفار في جزيرة العرب، على حد صحيفة (الرياض).

وأطلقت (السكينة) مؤخراً مركز معلومات إلكترونياً ضخماً، يحوي تعريفاً بالحملة، والشبهات السائدة، وفتاوى العلماء في موضوع التكفير، ومراجعات عدد من التكفيريين، إضافة الى مكتبة مرئية، وصوتية، ورقمية. وفي المكتبة الرقمية يمكن العثور على بحوث ومقالات موجّهة ليس من بينها المصنفات الكبرى والأساسية للمدرسة السلفية، التي تمثل المرجعية الفكرية للتطرف في هذا البلد. نقرأ عناوين مثل: أحكام التعامل مع غير المسلمين، وآداب

٧٠ في المائة من معتنقات الفكر الجهادي في السعودية حاصلات على درجات أكاديمية، ويتبنين فكر القاعدة بتفاصيله كافة بما فيها التفجير الإنتحاري

الحوار وقواعد الإختلاف، وإسلامية لا وهابية، وبحوث حول الإرهاب من جوانب متعددة، وبحوث أخرى حول الدفاع عن العائلة المالكة مثل الدعاء لولاة الأمر، والذب عن عرض الملك عبد العزيز الملك الطاهر والإمام البار، والمعلوم من واجب العلاقة بين الحاكم والمحكوم، ومعاملة الحكّام في ضوء الكتاب والسنة. ولم تغفل الحملة أثر عقيدة (الولاء والبراء) على نشوء تيار عنفي، حيث أعيد قراءة العقيدة في مقالات مثل: الولاء والبراء بين الغلو والجفاء في ضوء الكتاب والسنة، الولاء والبراء. الملفت في المقالات البحثية بنزعتها الإنتقائية، أن الحملة ساهمت في قلب الحقائق التاريخية والفكرية كما هي مدوّنة في مصادرها الأساسية الخاصة بالمدرسة السلفية وكذلك سيرة العائلة المالكة منذ الحقبة السعودية الأولى (كما نجد نموذجاً عنها في هذا العدد في قصة إحتلال الحجاز). فقد وضع د. صالح بن عبد الله الفريح، عضو الجمعية العلمية للدراسات الدعوية والأستاذ المساعد بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية الدعوة وأصول الدين ـ جامعة ام القرى بحثاً بعنوان (جهود أئمة الدعوة السلفية بنجد في التصدي للعنف والإرهاب من خلال الدعوة إلى فقه إنكار المنكر). وكان الفريح حاذقاً حيث لم يسلط الضوء على موقف أئمة الدعوة السلفية من التكفير، الذين تورّطوا فيه، ومن بين البحوث الخلافية أيضاً (دور جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في تقنين معالجة الإرهاب وقضاياه)، مع أن رسائل الدكتوراه التي صدرت عن الجامعة اشتملت على أحكام بتكفير فئات وطوائف إسلامية، وأدباء وشعراء وغيرهم. وفيما أجهد المشرفون على حملة (السكينة) أنفسهم في وضع بحوث حول (سماحة الإسلام في التعامل مع غير المسلمين) لم نجد بحثاً واحداً حول أدب الإختلاف داخل دائرة الإسلام والموقف منه، رغم أن بحوثاً تحدثت عن وسطية الإسلام ودعوته للحوار، ولكن لا تتحدث عن الحكم الشرعي من التنوع داخل الإسلام.

من الواضح أن الدفاع عن العقيدة السلفية والدولة يمثل هدفاً جوهرياً لنشوء الحملة، كما يظهر بجلاء في بحث (معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة)، ولكن الحملة غير معنية بالتراث السلفي التكفيري، وليس من بين مصنّفاتها ما يشير الى مراجعة فكرية وتراجعات داخل المدرسة السلفية، إذ تسكت عما حوته كتب العقيدة وخصوصاً الشروحات على كتاب (التوحيد) للشيخ محمد بن عبد الوهاب،

ولا كتب (الولاء والبراء في الإسلام) التي صنّفها علماء كبار في المذهب الوهابي، وإليها يرجع العناصر الجهادية.

في الحوارات الإلكترونية الأولى بين دعاة حملة (السكينة) مع حملة الأفكار المتطرفة ما يشي بطبيعة أهداف الحملة وكذلك القضايا مورد إهتمام قطاع كبير من الشباب السلفي. ففي الحوار الذي نشرته صحيفة (الوطن) في ٢٢ يوليو ٢٠٠٤ بين أحد التكفيريين وأحد دعاة الحملة، صرّح الأخير بأن (من نتائج الحملة توقّف ٩ أشخاص عن إثارة الفتن وسب ولاة الأمر والعلماء). مايلفت الحوار إليه أن التكفيري قسّم العالم إلى معسكرين: معسكر إيمان ومعسكر كفر، وهو ذات التقسيم الوارد في كتب العقيدة السلفية. لم يكن حواراً عميقاً، وقد يعكس مستوى المتحاورين، ولكونه يمثّل أحد منجزات (السكينة)، فإن مطالعة محتوياته تبدو على درجة من الأهمية لما يعكسه من أفكار متطرفة، شائعة في الوسط السلفي.

داعية (السكينة) يرى بأن حوادث التطرف والتفجيرات تهدف إلى (تمرير مبررات للأعداء لخلخلة هذه البلد والهجوم على العقيدة والدعوة)!. ويضيف (يظنون أنهم أرغموا الكفار!، بالعكس زادت تعزيزات الكفار وما تضرروا)، وهنا تظهر لغة التكفير واضحة في لهجة داعية (السكينة)، فيما يترحّم على (المتفجّرين المفجرين)، دون حاجة إلى توضيح ما يعنيه الترحّم في اللغة السلفية الدارجة.

الغريب أن داعية (السكينة) أسهب في عرض أسماء مشايخ سلفيين متّهمين بالتكفير مثل الشيخ الفوزان، والشيخ إبن جبرين، ليحاجج بهم في مجال (الحرص على الناس وعلى الحق والخير)، ويرى بأن مرجعية هؤلاء العلماء (ورثة الأنبياء) هي المدخل إلى العلم الشرعي الصحيح، وطالبه بالتعاون مع الدعاة والعلماء في الإصلاح. ومع ذلك، لم يتردد داعية (السكينة) في تذكيره محاوره، الذي حمل إسم (زمن الداجلة)، الى خطورة التكفير وأن (أمره عظيم)، فيما يصرف (السكينوي) النظر عن تراث تكفيري يحيط به.

وما يلفت أيضاً، أن الحوار في بساطته وسطحيته، ينتهي دائماً إلى انتصار (السكينة) بقليل من العناء الفكري، فقد أقرّ التكفيري بهزيمته ليست الفكرية، فهو لم يورد نصوصاً سلفية في الجهاد ومواقف العلماء من مسلمي اليوم كما

أخبر عنها الشيخ بن عثيمين في شرحه على كتاب (التوحيد)، ولم يحاججه من كتب السلف في عقيدة الولاء والبراء، ولكن أذعن لأمر خارج سياق المناظرة العقدية، كما يوحي كلامه (ليت هناك أحداً يناقشهم مثلك يا أخي كل اللي يتكلمون في التلفزيون والإذاعات يشتمون وما عندهم إلا خوارج ومجرمون..)، ووعده بإيصال محاضرة للشيخ صالح آل الشيخ، وزير الشؤون الإسلامية حول (الضوابط الشرعية لموقف المسلم في الفتن).

ما جعل خيار التكفيري أو ما أسماه داعية (النصيحة) بالإرهابي حاسماً (رؤية) في المنام. وبحسب قوله (رأيتني أخرج من بطني أشياء غريبة ومخيفة.. ثم شربت ماءً بارداً وقلت ويني من زمان عن هذا الماء..)!.

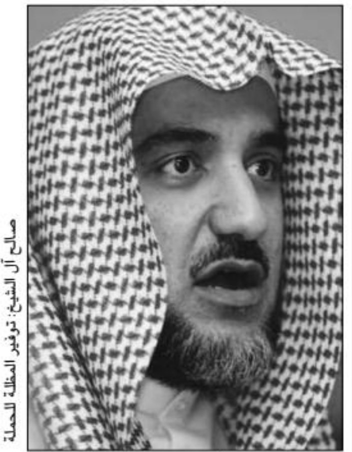
ثمة جبهة أنثوية تشتغل عليها حملة (السكينة)، وتؤكد المشاركات في حملة (السكينة) بأن غالبية اللواتي تحاورت معهن كن منتميات إلى تنظيم القاعدة، وتشبّعن بفكرة تكفير الدولة. وذكرت صحيفة (الحياة) في ١٥ يوليو ٢٠٠٥ عن نساء متعاطفات أو داعمات للفكر المتطرف أنهن تأثرن بفكر القاعدة وعملنا في مشاريع جهادية، بسبب غياب (الحقائق الشرعية والواقعية الصحيحة..)، وكل ذلك يجري في بلد تتكاثر فيه وسائل الدعوة، ويكثر فيه الدعاة! وكشفت إحدى المشاركات في حملة (السكينة) عن عملية إقحام للمرأة في مواضيع الجهاد (وهناك من سافرن إلى أفغانستان بالفعل.. والمرأة شاركت وبقوة في جميع الفعاليات الجهادية أو التهييجية أو التكفيرية، وهي مشاركة قد لا تكون مباشرة لكنها مؤثّرة وفاعلة..).

وكانت هدى الصالح من صحيفة (الشرق الأوسط) قد ذكرت في ٣ مارس ٢٠٠٧ بأن ٤٠ بالمئة من المنتديات والمواقع الأصولية في السعودية تديرها نساء، بناء على معلومات من حملة (السكينة). وأوضح (القسم النسائي) الى وجود (أمهات وربات منازل وأكاديميات إلى جانب أميات، جميعهن منتسبات للفكر المغالي ممن تناوبن في الدخول للمنتديات الفكرية والدينية أو المواقع الأصولية الثقافية وغيرها). وكشفت مسؤولات في (حملة السكينة) أن ٧٠ في المائة من معتنقات الفكر الجهادي والحماسي حاصلات على درجات أكاديمية، واعترفت الحملة بدور (الدعوة إلى 'الجهاد'

تشخيص أزمة الفكر التكفيري يعتمد على تحويل الأنظار إلى جهة خارجية، فيما يتم تجاهل المنابع الفكرية المحلية من فتاوى وكتب ومواقع وبيانات

في حلقات تعليم النساء وجمع التبرعات لـ'القاعدة')، وترجعها الحملة الى حالة الفوضى في النشاط الدعوي في الفترات السابقة قبل أن تقوم وزارة الشؤون الإسلامية بوضع ضوابط في مجال الدعوة النسائية. ووصفت الناشطات في القسم النسائي التابع لحملة السكينة الفكر المتطرف بين النساء بأنه أشد بالمقارنة مع الذكور. وأضافت بأن القاعدة العريضة لمعتنقات الفكر القاعدي يتبنين الفكر المتطرف بتفاصيله كافة. وأشارت الى أن الايقاع بالعلماء عبر توجيه القاعدة لصغيرات السن بتوجيه أسئلة عبر القنوات الفضائية الى الوعاظ حول مسألة القتال في العراق وتكفير بعض الشخصيات والزعماء.

ولخّصت الحملة معتقدات وشبهات المتعاطفات مع الفكر القاعدي بتفاعلهن مع ما يؤمنّ به



صالح آل الشيخ: توفير المظلة للحملة

ويعتقدن فيه كمسألة (الكرامات) أو التأثر بتفجير النساء لأنفسهن في بعض الدول الإسلامية، الأمر الذي ينتهي إلى تبني مبدأ التفجير في أي مكان.

ونشرت صحيفة (الشرق الأوسط) في ٢٥ نوفمبر ٢٠٠٥، تصريحات للمسؤول الإعلامي في حملة (السكينة)، وصف فيها الفكر والتطرف بالأسوأ عند انطلاق الحملة، عبر شبكة الإنترنت حيث كان هدف الحملة هو الحد من انتشار الفكر التكفيري والتطرف الديني عبر الإنترنت (حيث كانت كثير من المواقع على الإنترنت تروج لهذا الفكر علناً). وقال بأن الحملة حققت (نجاحات بسيطة) هي حصيلة محاورة دامت ٥٣٧٦٠ ساعة حوار عبر الإنترنت شملت ٩٧٢ شخصاً من منتهجي الفكر التكفيري، وطرحت ما يقرب من ٣٤٦٠٠ مادة متنوعة من موضوعات، وحوار، ومقاطع صوتية لمحاضرات وفتاوى عبر مواقع الإنترنت. وكان يقول المشوح بأن ثمة وجوداً لدعاة (السكينة) في مواقع حوارية عديدة على شبكة الإنترنت، من بينها موقع الساحة السياسية الشهير الذي ينطلق من الإمارات ويديره متطرّفون من أتباع الفكر التكفيري.

وتقوم فكرة الحوار على أساس عقد إتفاقيات غير مكتوبة مع أتباع الفكر التكفيري بهدف تفنيد الشبهات والرد عليها. وغالباً ما تتم الحوارات بصورة سريّة، كأحد الضمانات التي يطرحها التكفيريون، ويكون نص الحوار ملكاً لهما ولا ينشر إلا بعد موافقة الطرفين. وقد إعتراف أعضاء الحملة، حسب الصحيفة، بأن (أن كل من حاوروهم لم يصلوا إلى حالة الاقتناع الفكري التام والعودة عن هذا الفكر تماماً..). ويقول المشوح بأن بعضهم (رغم مدد الحوار الطويلة التي قضيناها معهم والتي قد تصل إلى ٦٠ ساعة حوار مع شخص واحد إلا أنهم قطعوا الحوار مع محاورينا). ويفسّر المشوح سبب ذلك بأن (كثيراً ممن تمت معهم الحوارات هم في مرحلة الشك بين فتاوى العلماء وبين من يدفعهم لهذا الفكر الضال ويثير عليهم الشبهات..).

ويقسّم المشوح منظومتي الأفكار التكفيرية الى

نوعين: الأولى خارجية مرتبطة بأوضاع المسلمين ومآسيهم في فلسطين والعراق وتدخّل الدول الكافرة كما يرون في شؤون إضافة الى قضايا الجهاد المختلفة. الثانية داخلية وترتبط بمفاهيم الحاكمية، وتطبيق الشريعة ووضع الكفار في جزيرة العرب.

ويحسب المشوح فإن أعمار المنتسبين للفكر التكفيري تتراوح بين ١٦ و٣٠ عاماً وقليلاً منهم من تجاوز ٤٠ عاماً، وغالبيتهم سعوديون بنسبة تصل الى ما يربو عن ٩٥ بالمئة، ولم تخض الحملة حوارات سوى مع قلة من دول الخليج.

وفي ٣٠ أغسطس ٢٠٠٦، نشرت صحيفة (عكاظ) خبراً مفاده أن حملة السكينة أعادت ٤٧٨ شخصاً ممن يعتنقون الفكر الضال وفكر التكفير والتفجير على مدى عامين (٢٠٠٤ ـ ٢٠٠٦). وقال المشوح للصحيفة بأن عدد الأشخاص الذين حاورتهم الحملة بلغ ١٤٣٠ شخصاً، وتمت مقابلة ٣٠ منهم بشكل مباشر، بعد عودتهم لطريق الحق!

وكشف المشوح عن رصد أكثر من ٣ آلاف موقع على الإنترنت تعتبر (محاضن للشباب). وقال بأن عدد العاملين في الحملة يزيد على ٦٥ شخصاً ما بين متفرّغين ومتعاونين يقومون بمحاورة ٤ أشخاص يومياً على مدى ٨ ساعات، فيما تبلغ عدد المنتديات التي تدخلها الحملة حوالي ٤٥٠ منتدى وموقعاً على شبكة الإنترنت. ولفت المشوح الى أن بعضاً ممن حاوروهم هم من حملة شهادات الماجستير والدكتوراه. وأكّد على أن أبرز العقائد المحرّضة للشباب تكمن في مسألة (الولاء والبراء) و(الجهاد)، وكثير منهم لديه رغبة الإنتماء لخلايا إرهابية.

من بين الإجابات الموجّهة التي تحاول أن تصرف النظر عن المنابع الفكرية للتطرف في الدخل، الحديث عن دور تنظيمات وشخصيات في الخارج تقوم بدور الموجّه والصانع للفكر التكفيري مثل المقدسي في الأردن مؤلف كتاب (الكواشف الجلية في كفر الدولة السعودية)، بالرغم من أن المقدسي قد تربى على الفكر السلفي التفكيري في الداخل قبل أن يتحوّل هو نفسه الى علماً من أعلام الفكر التكفيري.

يتحدث المشوح عن عملية التنقّلات لعناصر القاعدة على شبكة الانترنت وبين المنتديات الحوارية، وقال بأن ٨٠ بالمئة من شباب القاعدة يدخلون إلى ٢٠ بالمئة من المواقع، ويغيّرون الموقع كل ٣ إلى ٤ أيام، بطريقة غاية في التعقيد، الأمر الذي يجعل إستدراج العناصر التكفيرية إلى حوارات خاصة وثنائية وسرية عملية صعبة.

وكانت الحملة قد أوقفت عملها خلال صيف ٢٠٠٦، وكانت توقعات بأن مهمتها قد فشلت، ما طرح سؤالاً على جديّة جهودها وجدواها، ولكن المشوح ذكر بأن الحملة عملت على شباب المراكز الصيفية والمخيمات الشبابية، حيث تمت دعوة عدد من الدعاة لبث مفاهيم جديدة حول (العلاقة بالآخر) و(التسامح) وغيرها. إضافة الى ذلك، تصميم موقع الحملة على شبكة الإنترنت، الذي انطلق في نهاية عام ٢٠٠٧. الملفت أن الهدف من الموقع هو تحويله الى مرجعية ليس لأصحاب الفكر التفكيري وإنما لـ (طلبة العلم والمشايخ والدعاة وأئمة المساجد والخطباء)، بحجة وضعهم أمام طبيعة الشبهات المثارة والتعرّف على طريقة تفكير الجماعات التكفيرية!



يدرك دعاة حملة السكينة بأن منابع التطرف ليست مقتصرة على ما يبث على شبكة الإنترنت من خلال مواقع تابعة أو خاضعة لنفوذ القاعدة، فثمة منابع محلية تسهم بدرجة فاعلة في صنع مناخ للتطرف، وإشاعة مفاهيم راديكالية مستمدة من المصادر الفكرية السلفية. وقد لفت مدير حملة السكينة الشيخ عبد المنعم المشوح الى دور هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في تهيئة جو مناسب للتطرف والغلو باتباعها طريقة خاطئة في الدعوة. بل يرى بأن ثمة تيارات وجماعات (أكثر تركيزاً وخطورة من القاعدة، ولهم تأثيرهم القوي على الفكر وعلى المجتمعات)، ولفت الى أشكال جديدة وممارسات (قد تكون أكثر غلواً مما سبق)، وأن بعض الأكاديميين يعيشون أزمة وعي.

أهم السمات الفكرية بين الجماعات الفكرية هي: الوقيعة في العلماء الكبار، ومحاولة إنتقاصهم، واتهامهم، وفي المقابل تقديم رموزهم كبديل للمرجعية العلمية الشرعية، تكفير الأنظمة، والحكومات، والرؤساء، وإسقاط ولايتهم وبالتالي طاعتهم، إتباع المتشابه وترك المحكم، وغيرها من شبهات وأصول خاطئة لديهم..

في الموضوعات المتداولة بين الجماعات

يركز موقع السكينة على عدم تكفير علماء السلطة وعلى ضرورة طاعة آل سعود وعدم استخدام العنف ضدهم

التكفيرية ما يشير الى ما سمعه أفرادها في المدارس والمساجد حول الموقف من غير المسلمين أو المسلمين غير الحائزين على مسمى أهل السنة والجماعة، وهم غالبية المسلمين، ولذلك كانت الجماعات التكفيرية الجهادية تتبنى مسألة قتل الأجانب، وقتل المسلمين، والإغتيالات تحت عنوان التترس بالكفار، وتكفير الدولة، والعلماء، والمجتمع.

إن مجرد تراجع ما يقرب من ٧٠٠ شخص عن الفكر التكفيري، بحسب المشوح في تصريحه لصحيفة (الجزيرة) في ٦ أبريل ٢٠٠٧، لا يعني، إن تحقق ذلك فعلياً، انكساراً لموجة التطرف الفكري الذي يتغذى على مصادر تزداد عدة وتعقيداً، فكثير من حملة الفكر التكفيري يتلقون أفكارهم من الوسط الديني الذي يعيشون فيه، وليسوا بحاجة إلى من يستدرجهم إلى أمكنة سرية أو خارجية كيما يحصلوا فيها على أفكار في التشدد أو يتم فيها التحريض على اقتراف أعمال عنفية، فكل المواد متاحة ومتداولة.

تقول أم أسامة، إحدى ضحايا الفكر التكفيري، والتي تراجعت لاحقاً أن (مسألة تكفير الدولة السعودية، هذه كانت لدينا من المسلمات التي لا نقبل فيها أخذاً ورداً، وكان الإعتماد في ذلك على مسألة الولاء والبراء). وتوصّلت الى المواجهة العسكرية وحدها لا تقضي على التطرف بل ثمة مواجهة فكرية، ولكن مواجهة من أي نوع؟ وماهي مداخلها، وماهي استهدافاتها؟

يقول أحد المتراجعين عن الفكر التكفيري بأن (البرامج التلفزيونية التي تعالج قضايا الإرهاب لم تناقش القضايا الجوهرية). ويرى بأن (الفكر التكفيري موجود (في الداخل) ويستقطب الشباب الصغار في السن ما بعد الخامسة عشرة حتى مرحلة العشرين..).

ما يثير الإستغراب، أن المتراجع يشكو من غياب الأشخاص الذين يمكن التحاور معهم من أجل استجلاء المفاهيم الدينية الصحيحة، في بلد يعدّ فيه العلماء وحملة العلم الشرعي بعشرات الآلاف. يقول (يا ليتنا وجدنا من نسمع منه الكلام الصحيح ونناقشه ويناقشنا في قضايا كثيرة، فلماذا لا تكون هناك جلسات حوار ونقاش حول هذه القضايا..).

في الرد على سؤال: متى سينحسر الفكر المتطرف في المملكة؟، كان الجواب سلبياً، وسيبقى كذلك طالما أن تشخيص الأزمة يعتمد على تحويل الأنظار إلى جهة ما خارجية تعبث في الوعي الديني لدى الشباب في الداخل، وهي من تقوم بزرع أفكار في التطرف، وتشجّع على العنف، فيما يتم تجاهل المنابع الفكرية المحلية ممثلة في شخصيات دينية وإجتماعية نافذة، وكتلة ضخمة من الفتاوى التكفيرية المدوّنة في كتب، وعلى المواقع الدينية الرسمية على شبكة الإنترنت، وكذلك الخطابات المفتوحة، والكتب الدينية الشعبية.

صفقة إعلامية بين الرياض والدوحة

عاصفة (الجزيرة) تهبّ على مناطق أخرى!

هاشم عبد الستار

العلاقة بين الرياض والدوحة لم تكن على مايرام منذ حادثة مركز الخفوس الحدودي في نهاية سبتمبر ١٩٩٢ والذي أسفر عن مقتل جنديين قطريين وجرح ثالث، وقد سكبت الحادثة زيتاً في طريق العلاقات بين البلدين، ليفصل بين العاصمتين الرياض ودوحة، ودفع بالدولة الصغيرة للخروج عن صمتها حيال النزعة الوصائية لدى (الشقيقة الكبرى)، وقد صرّح حينذاك مسؤول قطري بأن (المملكة السعودية اعتبرتنا دائماً بمثابة تابع لها. لقد نضجت قطر وهي تعتزم إقامة علاقة من نوع جديد مع الرياض)، ثم زاد الأمر تعقيداً بعد إكتشاف الدوحة عن مخطط إنقلابي في منتصف التسعينيات من القرن الماضي تدبّره السعودية لإسقاط نظام الحكم في قطر.

تحررت الدوحة من ضغوطات الرياض منذ أن عقدت إتفاقية دفاعية مع الولايات المتحدة، بعد حرب الخليج الثانية، وقررت الدوحة أن تشق درباً مستقلاً عن هيمنة الرياض. ومنذاك، بدأت العلاقات بين البلدين تشهد خضّات متفاوتة الشدّة، بالنظر الى الموضوعات الخلافية بين البلدين سواء منها على المستوى الخليجي، أو الإقليمي، أو الدولي. وبدأت إنطلاقة الدوحة بوتيرة متسارعة، ما أثار غضب الرياض، كون الأولى تتصرف بما يفوق حجمها السياسي، وأنها تلعب دور الكبار ليس على مستوى المنطقة بل وعلى المستوى العالمي، بل تحوّلت قطر إلى منافس حقيقي في قضايا كبيرة، بدءً من الخلافات العربية العربية، وصولاً الى الملفات الدولية بين روسيا والولايات المتحدة، إلى جانب الأدوار المتميزة في قضايا فلسطين ولبنان.

بطبيعة الحال، لم يرق للرياض ما تعتبره (إستفزازياً) قطرياً، ليس على خلفية دورها السياسي اللافت، إقليمياً ودولياً، وإنما لأنها باتت قادرة على توظيف وسائل جديدة قادرة على أكثر من مجرد (إزعاج) الشقيقة الكبرى وتهدد إستقرارها، عبر المال السياسي والإعلام الفضائي.

سحبت الرياض سفيرها من الدوحة عام ٢٠٠٢، كرد فعل على ما اعتبرته الرياض (إساءة) لها من خلال برامج إعلامية تصفها بـ (المضللة) بثّتها قناة (الجزيرة) القطرية، بما تمثّله كمتظهر لخروج قطر عن دائرة النفوذ السعودي. إعتبرت الرياض أن الدوحة أصبحت حاضنة لكل المعارضين للسياسة السعودية، الى حد اعتبار وجود أعضاء من جماعة (الإخوان المسلمين) وعناصر من (الحوثيين) و(البعثيين) في قطر عملاً عدائياً موجّهاً ضد السعودية، فيما لا تعتبر الرياض، مثلاً، وجود أفراد مخالفين من العائلة الحاكمة في قطر على الأراضي السعودية عملاً عدائياً، وقد تدرجه في سياق (الضيافة) العربية.

في يوليو من العام الماضي، بدأت العلاقات بين الرياض والدوحة تشهد تحوّلاً لافتاً، بعد (لقاء هام) جمع ولي العهد السعودي الأمير سلطان ورئيس الوزراء ووزير الخارجية القطري حمد بن جاسم لبحث موضوعات ساخنة، وكان إفتتاحاً لحقبة جديدة من العلاقات السعودية القطرية. واللقاء، بحسب مصادر (الحجاز)، كان يدور حول الحملات الإعلامية المتبادلة بين الدوحة والرياض، على خلفية برامج بثّتها قناة (الجزيرة) حول الفساد المالي للعائلة المالكة، كما ظهر في (صفقة اليمامة)، واستضافة شخصيات معارضة للحكومة السعودية على قناة (الجزيرة)، في سياق حملة إنتقادات واسعة دولية للرشى التي حصل عليها الأمير سلطان وأبناؤه الأمراء بندر وخالد وأمراء آخرون، والتي تسببت في جلبة عنيفة في مجتمع القضاء البريطاني، بعد إيقاف التحقيق في دعاوى الفساد ضد شركة بي أيه إي في قضية (اليمامة)، والتي حصد منها الأمير بندر بن سلطان ملياري دولار، إلى جانب أشكال فساد أخرى مالية وأخلاقية.

لقاء جدة بين الطرفين إنتهى الى (إتفاق جنتلمان) على وقف الحملات الإعلامية المتبادلة، كمقدّمة لفتح الطريق المسدود في العلاقات بين الرياض والدوحة، حيث بدأ فصل جديد بزيارة أمير قطر الشيخ حمد بن خليفة الى جدة ولقائه الملك عبد الله في ديسمبر الماضي، ثم حضور الأخير الى قمة مجلس التعاون الخليجي في دوحة، بعد أن تغيّب عن القمة الخليجية سنة ٢٠٠٢ على خلفية موقف الرياض من سياسة الدوحة إزائها.

وكانت جريدة (الجريدة) الكويتية ذكرت في ٢٤ سبتمبر الماضي، أن قطر وافقت على طلب الرياض بأن تتوقف (الجزيرة) عن مهاجمة النظام السعودي مقابل حضور الملك عبدالله لقمة الدوحة. ونقلت الجريدة عن مصادر عربية وقطرية بأن الإتفاق السعودي القطري على أن تعيد السعودية سفيرها إلى الدوحة قبل نهاية العام الماضي، والسماح لقناة (الجزيرة) بإعادة فتح مكتب لها في العاصمة السعودية، بشرط وقفها ما اعتبرته الرياض (تجاوزات) حيال المملكة.

نشير الى أن إنطلاقة (الجزيرة) في منتصف التسعينيات كانت علامة فارقة في الاعلام العربي، بسبب هامش الحرية المسموح لها في تناول موضوعات حسّاسة، الأمر الذي خلق مناخاً جديداً في العالم العربي، ودفع بدول أخرى لأن تحذو حذوها، وما قناة (العربية) إلا رد فعل على (الجزيرة) في محاولة لتطويق تأثيراتها على الرأي العام العربي والدولي.

قرار الدوحة بتخفيض نبرة الإنتقادات التي توجّهها قناة (الجزيرة) للسياسة السعودية، كان مثار إهتمام الصحافة الغربية والأميركية. وقد نشرت عدّة صحف أميركية مثل (هيرالد تروبيون) و(نيويورك تايمز) مقالاً للكاتب الصحافي روبرت وورث في الرابع والسادس من يناير الجاري بعناوين مختلفة، وفيما يلي نص البيان:

حينما أصدرت محكمة سعودية حكماً بجلد فتاة تعرّضت للإغتصاب ٢٠٠ جلدة في شهر نوفمبر بعد أن أصرّت على مقاضاة الرجال السبعة الذين اغتصبوها فقد أثارت القضية إستياء عارماً في كل انحاء العالم بما فيه الشرق الأوسط.

ولكن موجة الإستياء في قضية (فتاة القطيف) لم تشمل قناة (الجزيرة) التي يشاهدها ٤٠ مليون شخصاً. وكان صمت (الجزيرة) ملفتاً للإنتباه لأنها كانت حتى فترة قريبة وبعكس معظم المنابر الإعلامية العربية راغبة بل ومتحمّسة لتوجيه إنتقادات عنيفة لحكام السعودية.

ويقول محلّلون إعلاميون أن (الجزيرة) شرعت منذ ٣ أشهر في التعامل بطريقة ناعمة مع العائلة الحاكمة السعودية. ويبدو أن حكام قطر هم الذين فرضوا على إدارة (الجزيرة) إعتماد لهجتها المتحفّظة الجديدة.

ومع أن حكّام قطر كانوا قد أسّسوا (الجزيرة) قبل عقد من الزمن كمنبر ضد الحكومة السعودية بالدرجة الأولى فالظاهر أنهم باتوا يعتقدون أنه لم يعد بوسعهم الإستمرار في استعداء السعودية - (السنّية) مثل قطر - في ضوء التهديد الذي تمثّله إيران. ويحتمل أن تكون طموحات إيران النووية مخيفة لدولة قطر الصغيرة التي تستضيف قاعدة عسكرية أميركية كبرى.

وتمثّل السياسة الجديدة أحدث فصل في عملية تدجين الجزيرة التي كان المسؤولون الأميركيون يعتبرونها مجرّد أداة دعائية للإرهابيين. فقد توقّفت (الجزيرة) عن إطلاق صفة (المقاومة) على المتمرّدين العراقيين، كما توقّفت عن إطلاق تسمية (شهداء) على ضحايا الجيش الأميركي.

إن هذه السياسة الجديدة تظهر كيف أن وسائل الإعلام العربية رغم الحريات الجديدة التي استحدثتها قناة (الجزيرة) نفسها ما تزال تُعامل كأدوات سياسية لحكام المنطقة الأوتوقراطيين.

ويقول مصطفى العاني الباحث في مركز أبحاث الخليج في دبي أن (دول الخليج باتت تشعر أنها كلها في مركب واحد بسبب التهديد الإيراني وبسبب الفوضى العراقية والضعف الأميركي. ولهذا السبب وافق القطريون على إعطاء السعوديين تعهّدات بشأن التغطية الإعلامية التي تقوم بها قناة الجزيرة). وأضاف السيّد العاني أن القطريين قدّموا هذه التعهّدات أثناء إجتماع عقد خلال شهر سبتمبر في الرياض بين الملك عبدالله ومسؤولين كبار في حكومة قطر.

ورافق المسؤولين القطريين إلى ذلك الإجتماع الذي كان الهدف منه تسوية النزاع المتطاول بين البلدين ضيف غير معهود هو رئيس مجلس إدارة (الجزيرة) الشيخ حمد بن ثامر آل ثاني.

لقد رفض المدير العام لـ (الجزيرة) وضّاح خنفر أن يجيب على الإتصالات الهاتفية والإيميلات التي وجّهتها له الـ (نيويورك تايمز)، ولكن عدداً من موظّفي القناة التلفزيونية أكّدوا أن رئيس مجلس الإدارة حضر إجتماع الرياض. ورفض هؤلاء إعطاء أسمائهم بسبب حساسية الموضوع. من جهتهما لم تعلّق حكومتا قطر والسعودية حول الموضوع. في أي حال فسرعان ما شعر العاملون في (الجزيرة) بنتائج التفاهم.

وقد جاء في إيميل وردنا من أحد العاملين في قسم الأخبار: (أعطيت أوامر بعدم التعاطي مع أية قضية سعودية بدون مراجعة الإدارة العليا. واختفت كل الأصوات المعارضة من شاشاتنا). وأضاف أن تغطية السعودية في قناة (الجزيرة) كانت على الدوام مرتبطة بدوافع سياسية.

ففي السابق كانت الإدارة العليا تفرض على صحفيي قسم الأخبار بث مواد سلبية حول السعودية، وذلك لاسترضاء القيادة القطرية في ما يبدو. وقال أن التغييرات الأخيرة تبدو للعاملين في قسم الأخبار كتعبير صارخ عن إرادة سياسية بحتة. وقال: (كشرط لتحسين علاقاتهم مع قطر طلب السعوديون إسكات (الجزيرة)، وقد حصلوا على مبتغاهم).

إن التغييرات الحاصلة في (الجزيرة) تمثّل جزءاً من مصالحة أوسع نطاقاً بين السعودية وقطر. ففي شهر ديسمبر أعلن الأمير سعود الفيصل أن بلاده ستعيد سفيرها إلى قطر للمرة الأولى منذ العام ٢٠٠٢.

وفي شهر ديسمبر كذلك حضر السعوديون قمة (مجلس التعاون الخليجي) في الدوحة، بعدما كانوا رفضوا الحضور إلى الدوحة أثناء آخر قمة عُقِدت في العاصمة القطرية. كما ألمح السعوديون إلى أنهم يمكن أن يرخّصوا لقناة (الجزيرة) بفتح مكتب في الرياض.

وقد أسفر النزاع بين قطر والسعودية رغم تفاهته عن عواقب مهمّة. فقد أسفر عن تأسيس (الجزيرة) التي بدورها أسهمت في تغيير النظرة إلى الأمور - بل ربما في تغيير الوقائع نفسها - في العالم العربي وخارجه خلال عقد من الزمن. وكان النزاع بين البلدين قد ابتدأ حينما اتهمت القيادة القطرية السعوديين بدعم محاولة إنقلاب فاشلة.

وتأسّست (الجزيرة) بفضل هبة بقيمة ١٥٠ مليون دولار من أمير قطر الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني. واستفادت (الجزيرة) من فشل مشروع إنشاء تلفزيون (بي بي سي) باللغة العربية كانت تملكه شركة سعودية بسبب شروط الرقابة التي أصرّ عليها السعوديون. وقد تدفّق صحفيو (بي بي سي - هيئة الإذاعة البريطانية) على (الجزيرة).

ويقول مارك لينش أستاذ العلوم السياسية في جامعة جورج وواشنطن الذي ألّف كتاباً حول دور (الجزيرة) في تغيير وسائل الإعلام العربية أن مجرّد تأسيس (الجزيرة) كان تحدّياً للسعوديين الذين دأبوا منذ السبعينات على استخدام ثروتهم النفطية للسيطرة على معظم وسائل الإعلام العربية سعياً منهم للحؤول دون حملات إعلامية شعبوية من النوع الذي اطلقه عبد الناصر في الستينات.

واشتدّ النزاع بين البلدين في العام ٢٠٠٢ حينما بثّت (الجزيرة) نقاشاً حول سياسات السعودية إزاء القضية الفلسطينية مباشرة بعد الكشف عن مبادرة الأمير عبدالله (في حينه) لتسوية النزاع العربي - الإسرائيلي. وتخلّل النقاش إنتقادات عنيفة للعائلة الحاكمة السعودية فردّ السعوديون بسحب سفيرهم من قطر.

كما استفزّ السعوديين بثّ مقاطع طويلة من أشرطة أسامة بن لادن الذي كان هدفه الأول هو إطاحة النظام السعودي. وغالباً ما تمّ إتهام قناة (الجزيرة) بأنها أسهمت في تحويل بن لادن إلى شخصية شهيرة وبأنها ساعدته في تجنيد أنصاره في العالمين العربي والإسلامي.

وزاد في حنق السعوديين أن (الجزيرة) استفادت من مشاعر العداء لأميركا في المنطقة في حين كان الدعم العسكري والمالي الأميركي يتدفّق على الإمارة الصغيرة.

ويقول الصحفي الأميركي المتقاعد عبدالله شليفر وهو أستاذ فخري في الجامعة الأميركية بالقاهرة أن (قطر أحرزت شعبية كبيرة إبان حرب ٢٠٠٣ بسبب الجزيرة - رغم أن التخطيط للحرب كان يجري في مقر (القيادة المركزية) الأميركية في قطر).

ولكن تغطية (الجزيرة) تطوّرت وباتت أكثر اعتدالاً لأسباب داخلية وكذلك بسبب الضغوط الأميركية. وفي العام ٢٠٠٣ تأسّست قناة (العربية) كمقابل لقناة (الجزيرة). وحدث أن ردّت (العربية) على إنتقادات (الجزيرة) للسعودية بهجمات على السياسة القطرية. ولكن التغييرات التي طرأت مؤخراً مدى تأثير طموحات إيران النووية على المنطقة.

ويقول نيل باتريك الذي يعمل كمحلّل في (مجموعة الأزمات الدولية) أن (الخوف من ردّ ثأري إيراني في حال تعرّض إيران لهجوم أميركي هو الذي أقنع القيادة القطرية بتعزيز التضامن في إطار



مجلس التعاون الخليجي وبتحسين العلاقات مع السعودية وبكبح التغطية الإعلامية التي تقوم بها (الجزيرة).

وعلى المستوى المباشر كان القطريون يحرصون على نجاح قمة مجلس التعاون الخليجي الأمر الذي يتعذر تحقيقه بدون مشاركة السعوديين. ويعرب بعض العاملين في قسم الأخبار في (الجزيرة) عن إعتقادهم بأن المحطة لن تتجاهل التطورات في السعودية أو تقلّل من أهميتها بغض النظر عن وعود مجلس الإدارة.

ولكن صحفيين عرب آخرين يعتبرون أن استعداد (الجزيرة) للإنصياع للخط السعودي هو بحد ذاته برهان على عدم وجود وسائل إعلام مستقلة فعلاً في المنطقة.

وحسب سليمان الهتلان رئيس التحرير السابق لمجلة (فوربس) العربية فإن (وسائل الإعلام العربية اليوم ما تزال تلعب دور شعراء القبائل في الجاهلية. أي دور مدح القبيلة وليس دور عرض الحقائق).

بعد فضائح متوالية

تصاعد المطالب بإصلاح القضاء.. وعزل القضاة!

محمد الأنصاري

كانت قضية ما يعرف (فتاة القطيف) القشة التي قصمت النظام القضائي في السعودية، بعد أن كان يتخفّى خلف إصلاحات شكلية أريد لها أن تسدل ستاراً سميكاً على فضائح القضاة والقضاء.. لم يهنأ الملك ولا رئيس مجلس القضاء الأعلى صالح اللحيدان بالنظام القضائي الجديد، بعد أن هتكته (فتاة القطيف) وكشفت عوراته، وربما ثأرت لضحايا المحاكم القضائية التي انفردت لعقود طويلة بإصدار أحكام غاشمة، وشهرت ببجاحة سلاح (التعزير) لتهوي به على كل من يخرج عن إطار تشريعاتها، المصممة لغايات محددة، ليس من بينها تحقيق العدل وإحقاق الحق.

فالمتظلمون، وهم كثر، كتموا آلامهم، بانتظار إنفراج يعيد لهم حقاً ضائعاً أو مضيّعاً، وطال الإنتظار، فيما واصل القضاة في غيّهم، واعتبروا صمت الضحايا إعترافاً ضمنياً بارتكابات لم يقرّوا بها، إن فعلوا، سوى مكرهين، الأمر الذي

كتم المتظّلمون من جور القضاء آلامهم بانتظار إنفراج يعيد لهم حقاً ضائعاً أو مضيّعاً، فيما واصل القضاة غيّهم

أغرى القضاة بمواصلة الاقترافات الحكمية التي لا تمت الى الشريعة أو القوانين المدنية بأية صلة.

كان لابد من حدث إستثنائي مدوّي يقطع دابر الانتهاكات القضائية، فوجد المتظلمون قناة جديدة للتعبير، فلجأوا الى وسائل الإعلام الأجنبية، ومنظمات حقوق الإنسان الدولية من أجل فضح النظام القضائي وتسفيه دعوى الإصلاح القضائي الذي أعلن عنه الملك قبل شهرين من إنفجار قضية (فتاة القطيف)، وكان ذلك فصلاً إستثنائياً في التجاذب الداخلي، يستعين فيه المقموعون بالعنصر الخارجي من أجل الضغط على الحكومة السعودية لجهة وقف تعدّيات النظام القضائي المدعوم منها، والخاضع تحت سلطان الملك والأمراء الكبار.

ساء القضاة ظهور المحامي عبد الرحمن اللاحم في القنوات الفضائية وكشف الإختراقات السافرة لأحكام القضاء والشريعة ومقاصدها والقوانين المدنية، ومواثيق حقوق الإنسان التي وقعت السعودية عليها.. ولذلك، قرروا معاقبة اللاحم، لا لذنب إقترفه سوى ظهوره الاعلامي، ما استدعى سحب رخصة المحاماة منه، ومنعه من مزاولة مهنته، وتوجيه الإهانات له.

ما ذكره سيف الصانع في ٢٦ ديسمبر الماضي بشأن قرار الملك عبد الله بربط المحكمة العليا في السعودية به، واستقلالها عن رئيس مجلس القضاء الأعلى يقترب الى حد كبير من إتجاه الرأي العام السائد في المملكة، وخصوصاً فيما يتعلق بالموقف من النظام القضائي السعودي، وأحكامه الجائرة. كتب الصانع بأن ثمة شعوراً متزايداً لدى السعوديين بأن (المؤسسة القضائية من أكثر مؤسسات الدولة السعودية السيادية تخلفاً، ولاسيما أن من يتربعون على سدّة قمتها ويديرون شؤونها لا يعون التغيرات التي تكتنف العالم..). يتحدث الصانع عن الشيخ صالح اللحيدان، رئيس مجلس القضاء الأعلى بالقول أنه (لم يتلق أي قدر من التعليم المنهجي وتعلّم على الطريقة الكتاتيبية القديمة ويصر على إبقاء القضاء على ما كان عليه، ويمانع في تطويره)، وكان أحد المعارضين بشدّة لأنظمة المرافعات والمحاماة والإجراءات الجزائية.

وشأن القراءات البترية، فإن ثمة نزوعاً إلى استبعاد العائلة المالكة من مسؤولية تخلف القضاء، وأشكال أخرى عديدة من التخلف بما فيها النظام السياسي القروسطي الذي تدير به البلاد، فيما لا شأن للعلماء بتخلف النظام السياسي، فهم لهم نصيب من التخلف في مؤسسات أخرى منها القضاء والدعوة والإرشاد والإفتاء ومناهج التعليم الديني..

ما يوصف بأنه مواكبة لعملية الإصلاح التي يديرها الملك عبد الله، ليس صحيحاً، فالنظام القضائي الجديد وإن انطوى على إشارات إصلاحية متقدّمة إلا أن المشكلة ليست في مجرد صيغ قانونية مجرّدة بل تكمن في البنية القضائية بل وبنى الدولة نفسها التي تتطلب عملية جراحية،



تركي الحمد: التقنين

فما يغني القانون الجميل من أجل تحقيق العدل إذا كان القائم عليه فاسداً وجائراً.

إذاً، ليس النظام القضائي ولا نظام ديوان المظالم خطوة مفصلية تلبي العصر، أو تواكب مطالب التجديد والإصلاح، فالإصلاحيون لهم رؤية واضحة وشاملة وفي الوقت نفسه واقعية في الإصلاح تنطلق من تشخيص دقيق لمشكلة الدولة، وتحدد محاور الإصلاح وآلياته، بما يتناسب وضوابط المجتمع، وحاجات العصر.

فصل المجلس الأعلى للقضاء عن النظام القضائي تدبير ضروري من أجل كبح غلواء القضاة، ولكنه ليس بالتغيير الجوهري، تماماً كما أن إنشاء محكمة عليا منفصلة عن النظام القضائي هو قرار ضروري وليس جوهرياً، وإن أدى الى تقليص صلاحيات الشيخ اللحيدان أو رجال الدين العاملين في النظام القضائي، الخاضع في جميع مراتبياته تحت سلطانهم الديني. فالمشكلة تبقى قائمة، وتحوم حول مؤسستين: السياسية والدينية. فقد شهدنا إعلاناً في مارس ١٩٩٢ وصف في حينه بالتاريخي، بصدور الأنظمة الثلاثة: الأساسي، والشورى، والمناطق. ولكن بعد مرور أكثر من عقد ونصف، مازالت الأنظمة ثابتة لم تتغير، وفي ذلك جواب لدعاة (التدرّجية) في التغيير والإصلاح. فحتى الآن، لم يتم إقرار المشاركة السياسية العادلة في السلطة التنفيذية، ولم يعتمد حتى الآن مبدأ الإنتخابات في اختيار أعضاء مجلس الشورى (رغم تضاعف العدد)، ولم تتحوّل مجالس المناطق الى سلطات إدارية قادرة

على رسم سياسات التنمية على أسس متوازنة، وإقرار خطط البناء الفاعل.. كل ذلك لم يحصل لأن النزوع كان وسيبقى هو تغيير الطلاء الخارجي وترسيخ المضمون.

أن يـأتـي شـخص آخر الى المجلس الأعـلـى للقضاء أو المحكمة العليا فذاك ليس المطلوب لذاته، بل السؤال كيف سيأتي ومن هو الشخص، ومـاعـلاقـتـه بـأولـيـاء الأمـر!..إن مجرد الـتـفـريق الشكلي بين تقليدي وتجديدي لا يكشف عن إفتراق حقيقي، فقد يقع التقليدي والتجديدي في مصنّف واحد، وما الفارق بينهما سوى الرداء الذي يرتديه، وليس القناعات الفكرية والسياسية.

وحسناً لفت سيف الصانع الى نقطة جوهرية وهي أن (أغلبية القضاة الذين يعملون في المؤسسة القضائية ’مؤدلجون‘، إذ ينتمي الكثير منهم إلى الـتـيـار الحركي الإسـلامـي ’صـحـويـون‘، والذين يتعاملون مع القضايا منطلقين في تصوراتهم، وبالتالي في أحكامهم، من أطر أيديولوجية حركية تجعل حياديتهم وبـالـتـالي عدالـتـهم أمراً تكتنفه الـكـثـير مـن الشـكـوك كـمـا يـؤكـد ذلك كـثير مـن المحامين الـذيـن يـعـمـلـون ومـازالـوا في ردهـات المحاكـم السـعـوديـة). إذاً الأمـر لـيس مجرد وضـع أنظمة قضائية جديدة، تركب على أجهزة متخلفة، كمن ينصب ماكينة مرسيدس على بعير!

يلفت الصانع أيضاً الى معاناة المتظلّمين من خـارج المذهب الـسـلـفـي، ويـقـول (أكثر مـن يـعـاني أحـكـام المؤسـسـة الـقـضـائـيـة في الـسـعـوديـة هـم الأقليات الطائفية، مثل الشيعة الإثني عشرية في

أغلبية القضاة في المؤسسة القضائية 'مؤدلجون'، من التيار 'الصحوي'، ويتعاملون مع القضايا وفق تصورات خاصة مايجعلهم غير محايدين

شرق السعودية، وكذلك الإسماعيليين في الجنوب، وبعض الـفرق المنتمية إلى الطرق الصوفية في منطقة مكة والمدينة، حيث يشكو أصحاب هذه المذاهب الإسلامية من الممارسات التعسفية من قبل القضاة، إذ يعتبرونهم ذوي عقائد منحرفة دينياً، ومثل هذه الاعتبارات ـ كما يؤكد كثيرٌ من أتباع هذه المذاهب ـ عادة ما تنعكس على أحكام هؤلاء القضاة بشكل سلبي وجائر).

تركي الحمد، الكاتب الأكاديمي السعودي، كتب في ٢٧ ديسمبر الماضي مقالاً بعنوان (أما آن لنا أن نـكـون مـن المقـنـنين؟)، ولـفت الى مـا أحـدثـتـه قضـيـة (فـتـاة القـطيـف) من تشويه كثير لصورة السـعـوديـة، بـفـعـل إنكـشـاف مـايـجري فيـهـا عـلـى الخارج.

وجّه الحمد إنتقاداً للقضاة السعوديين، على أسـاس اعـتـمـادهـم الإجـتـهـاد الـفردي في إصدار الأحكام القضائية، دون وجود نصح واضح ومحدد يقيد هذا الإجتهاد، بما يقلل الأخطاء الى حد كبير. ويـبـدي الحمد إستغراباً من الاستعمال المفتوح لـقـاعـدة شـرعـيـة دارجـة (المجتهد إذا أصاب فله أجران وإذا أخطأ فله أجر واحد) ويقول (من غير المعـقـول مـثـلاً أن يـحـكـم أحدهـم بـالإعدام على أحدهم، ثم يتبين خطأ الحكم، ونقول بعد ذلك أنه كـان من المجتهدين) ويشرح ذلك بـالـقـول (مـهـمـا كـان الإنـسـان عـالمـاً ومـتـعـلـمـاً، ومـهـمـا بـلـغ من درجات الكمال، فإنه يبقى بشراً يصيب ويخطئ. فـالـقرارات والأحكام والـتـقـيـيـمـات الـتـي يـتّـخذهـا الإنسان تجاه هذه القضية أو تلك، هذه المسألة أو تلك، إنما تـعـتـمـد على عوامل كثيرة، ولذلك نجد إختلاف المواقف والأحكام في القضية الواحدة، مهما حاول الإنسان أن يكون موضوعياً متجرداً من غلبة الذات على الموضوع).

ويشدد الحمد في انتقاده لسلوك القضاة، على الإنطلاق من طبيعة الحياة والبشر، بـاعـتـبـارهـا قـائـمـة على الـتـنـوع، مـا يـمـنـحـهـا زخـمـاً وحـيـويـة، ولكن لا يسحب هذا التنوع على المبادىء العامة للبشر، مثل كون العدل قيمة مشتركة متوحدة في ذاتها لا يختلف أحد عليها، كما لا يختلفون على نبذ الظلم، رغم أن الحمد يفتح أفق الإختلاف في تحديد مفهوم العدل للشعوب وتطوّرها عبر مراحل التاريخ وحتى في حقبة زمنية محدد ولكن في مكـانين مـتـبـاعـدين، أو أيديولوجيتين متباينتين، ولكن يستثني من ذلك الحقوق فـ (هناك أمور لا يجوز فيها التعدد واختلاف المواقف من القضية الواحدة، وذلك عندما تكون الحقوق هي القضية، وعندما يكون القضاء بين الناس هو محل النقاش. فاختلاف المواقف، أو الإعتماد على رأي الفرد في هـذه الـقـضـيـة أو تـلـك، يـعـنـي إنـتـفـاء الـعـدل، حين يختلف الحكم في القضايا المتشابهة، أو حين يُترك تحقيق العدل بيد فرد، مهما كان نزيهاً أو محايداً أو ساعياً للعدل، فتلك العوامل المتحدث عنها آنفاً، تبقى فاعلة على الرغم من نية صاحبها الظاهرة، وهنا في ظني تكمن علة القضاء في المملكة).

يصل الحمد في إنـتـقـاده للقضـاة الى مطلب الـتـقـنين، بوصفه حلاً لا يتعارض مع الشريعة ونصوصهـا. ويـعـرّف التقنين بـأنـه تحديد للنص القانوني، بما يدرء عنه التضارب في التفسيرات والتأويلات، والأهم الإجتهادات الفردية. وفيما يسـتـبـعـد الحمد أن تكون ثمة مشكلة في الـنـظـام القضائي استقلالاً ونزاهة، فإنه يميل الى حصرها في (فردية الحكم والقرار)، القائم على الاجتهاد الشخصـي الـبـحـث، دون وجود مرجعية واضحة ودقيقة من القانون تحكمه، ويمثّل لذلك (أن الحكم في القضية الواحدة يختلف من قاض إلى قاض، بحيث يكون الحكم هنا هو السجن المؤبد مثلاً، فيما يكون هناك مجرد بضعة أشهر، وهو أمر يخل بالعدالة، ولا يستقيم مع ذات الشريعة، التي هي المرجعية الكبرى للنظام القانوني السعودي).

يسـتـدرك الحمـد مـراراً، ويضـع مـنـبّـهـات لاستجلاء نيته الخيرة في مقاربة هذا الموضوع الخلافي، ما يدفعه الى تنزيه القضاة والنظام القضائي السعودي في أكثر من مرة، ويضيّق شقة



اللحيدان وجهاز قضائي فاسد

الخلاف في حدود (بشرية القاضي) الذي يخطيء ويصيب، و(هو في النهاية فرد تتحكم فيه عوامل الـغـايـات والانـتـمـاءات والاعـتـقـادات وغيرها، مثله مثل أي فرد آخر من البشر، حتى وإن كان نزيهاً، ساعياً للحق والعدل بكل ما أوتي من قوة، وبكل صفاء نية). ويكرر على بشرية المشكلة، وفرديتها بعد عبارات التنزيه لـلـنظام القضـائي والقضاة المسـتـنـدين في أحـكـامـهـم، حسب كـلامـه (إلى النصوص الشرعية).

ويـخـلص الحمـد في قراءتـه النقـديـة للقضـاء السـعـودي الى أن الصـفـة الـبـشـريـة وغـيـاب نص قـانـوني واضـح ومـلـزم تـفـتـح الـبـاب عـلـى قراءة مختلفة ومتضاربة للنص الشرعي، بين قـاض وآخر، حتى في أحكام الحدود الواضحة. والحل، في رأي الحمد، هو التقنين، حيث لا جريمة بغير نص، ما يتيح لمواطن معرفة ما له وما عليه، فيشعر بـالطمأنينة من حيث أن يعلم ماهو سلوك إجرامي وما هو غير ذلك. ويرى الحمد بـأن ذلك من شأنه ترسيخ الإنتماء للوطن، من حيث ثقته بـالعدل.

ويختم الحمد مقالته النقدية بالتأكيد على أنه في ظل الـتـقـنين، يـتـقـلّص هـامش الاختلاف في الحكم، بخلاف ماهو حـاصل اليوم، (إذ يظل اجتهاد القاضي في حدود ما يقرره القانون من عقوبة قصوى وعـقـوبـة دنـيـا، ولكنه لا يترك الأمر كله للاجتهاد الفردي للقاضي، الذي هو بشر في الأول والآخر. القانون هو القيد الذهبي، كما ذهب إلى ذلك فلاسفة الإغريق العظام، وبغيره لا فرق بين عالم الإنسان وعالم الحيوان، ونحن في النهاية من يختار..).

كرم ضيافة سعودي

زيارة بوش للسعودية: الأهداف والأوامر!

محمد فلالي

في جولته المقررة للمنطقة سيزور بوش السعودية في ١٤ يناير الجاري، وقد كان واضحاً أن الزيارة إيّاها ستثير لغطاً كبيراً في الشارع العربي كما السعودي. فالرئيس الأميركي يزور دولاً خليجية لأول مرة في فترتي رئاسته كما هي الحال مع السعودية. ومع أن بوش قد حدّد هدف زيارته للخليج بأنها من أجل (احتواء النفوذ الإيراني) وسبق له أن حدّد هدف زيارته للأراضي المحتلة بأنها من أجل إيجاد حل للأزمة الفلسطينية قائمة على مشروع دولتين، فإن الزيارة المتوقعة لن تكون فاتحة انقلاب في الأوضاع القائمة في المنطقة.

هناك في الأراضي المحتلة استقبل بوش بالمظاهرات والتنديد وعصي عباس التي كسرها رجال شرطته على رؤوس المتظاهرين بمن فيهم مناضلين كبار. وكانت حصيلة نشاط بوش هو اعتباره: يهودية الدولة الإسرائيلية بما ينطوي على ذلك إخراج العرب من اسرائيل أو اهتضام حقوقهم كمواطنين في دولة زعمت وزعم حلفاؤها أنها (ديمقراطية). كما حلّ بوش ـ حتى قبل التفاوض ـ مسألة المهجرين الفلسطينيين، بأن يمنحوا تعويضاً مالياً، كما اتفق مع أولمرت على ضرورة التصدّي لإيران، وتقوية جناح المعتدلين العرب الذي أصبح يواجه نفس الخطر الإيراني الذي تواجهه اسرائيل، حسب إشارات شيمون بيريز.

في السعودية حيث يوصم بوش بـ (الشيطان) و (فرعون) ولأن حرية التعبير معدومة، لم يستطع أحدٌ أن يقول ما قاله الفلسطينيون: (لا لبوش).. مع أن المشاعر العامّة جارفة بهذا الإتجاه، خاصة وأن بصمات الرئيس الأميركي السيئة في العراق وأفغانستان وفلسطين ولبنان واضحة المعالم.

القليلون الذين شتموا بوش، لم يطالبوا الحكومة السعودية بالغاء زيارته، أو السماح لهم بالتعبير كتابة أو تظاهراً ضدها. يبدو ان الصحافة السعودية متحفظة في التعرض لبوش وسياساته في هذه الفترة التي يزور فيها المنطقة، حتى النقد المعتاد بدأ يختفي على استحياء، وكأن النقد في حد ذاته مخالف لـ (كرم الضيافة) السعودي!

ماذا يريد بوش؟ يمكن أن نعرف ما لا يريده بوش وما لا يمكنه أن يفعله: هو لن يتحدث عن الديمقراطية والإصلاح السياسي الذي زعمه قبل سنوات خمس. هو لن يتحدث عن قضايا حقوق الإنسان، والمعتقلين الإصلاحيين في سجون نايف. وهو لن يتطرق الى التطرّف الوهابي الذي يعتقد السعوديون والأميركيون أنه جاء من تحريض المناهج الدراسية وخطب الأئمة الوهابيين.

أما ما يريده الرئيس الأميركي فيمكن تصنيفه في أربعة أمور واضحة:

أولها في الأهمية، ما ذكره بوش من (احتواء لايران). هذا الإحتواء سياسة أميركية مطبّقة منذ ثلاثة عقود، فما الجديد الأميركي؟ وما عسى أن تفعل السعودية أكثر مما فعلته سابقاً؟ إن أميركا تحاصر ايران سياسياً واقتصادياً منذ اليوم الأول لسقوط الشاه، ولكنها في خضم صراعها حول الملف النووي الإيراني، تريد من حلفائها السعوديين المساهمة في (توفير المشروعية) للجهد الأميركي عبر:

ـ التنديد بالمشروع الإيراني النووي، سلمياً كان أو عسكرياً، والتأكيد على مخاطره البيئية وعلى موازين القوى في المنطقة. ويلاحظ هنا أن السعودية لم تحسم مواقفها الصريحة، فهي تدرك أن لإيران الحق قانوناً في (التخصيب السلمي) من أجل الطاقة، وإن تحول المشروع الى عسكري غير مقبول. لكن السعودية لا تريد حتى المشروع السلمي النووي، لأنه يعطي لإيران قوة سياسية وعلمية هائلة ويزيد من رصيدها السياسي ونفوذها، خاصة بعد أن تحول الملف الى قضية سياسية، إن انتصرت ايران فيها عدّ ذلك خسارة للسعودية نفسها. وقد سبق أن عرضت السعودية ـ بالتنسيق مع واشنطن ـ مشروعاً يتم من خلاله تزويد ايران ودول الخليج باليورانيوم المخصب عبر تأسيس كونسورتيوم، وقد رفضت ايران العرض، فمن يمتلك القرار والقدرة على تخصيب اليورانيوم سيكون (أحمقاً) إن هو قبل أن يشتريه من الآخرين ويكون تحت رحمة قرارهم السياسي.

ـ يريد بوش إيجاد قطيعة سياسية واقتصادية خليجية (وليست سعودية فحسب) مع ايران. وهذا ما لا يريده السعوديون والخليجيون عامة، لأن القطيعة الإقتصادية تضرّ بمصالح بعض الدول (الإمارات مثلاً) والتي وصل التبادل التجاري بينها وبين ايران الى المليارات من الدولارات، فضلاً عن أن تخفيض التبادل التجاري يبعث إشارات سياسية ويرفع حدّة الصرع الإيراني مع دول الخليج العربية، هي في الأساس غير مقتنعة به أو لا تريده. ولكن دول الخليج يمكن وفق الضغوط التي جاء بها بوش أن تخفض من التبادل التجاري أو تجمّده، وكذلك بإمكانها أن تخفف من الإتصالات السياسية بين الطرفين دون أن يؤدي ذلك الى قطع العلاقات. وفي الجملة فإن دول الخليج عامة تعتقد بأن العلاقات الإقتصادية وتطوير العلاقات السياسية مع ايران يضمن لها أمرين: تحييد التدخل الإيراني في أراضيها وهو ممكن في حال وجود صراع سياسي، وثانياً: يمنع الدول الخليجية من الإنحياز الكامل للأجندة الأميركية التي قد تطور هجوماً عسكرياً على ايران يترتب عليه رد فعل عسكري إيراني ضد منشآتها الحيوية، خاصة النفطية.

ثاني الأهداف التي جاء بها بوش، هو تحصيل دعم سعودي أكبر لما يسمى بعملية السلام مع اسرائيل، ولكن السعودية ليس لديها الشيء الكثير الذي تقدمه، فقد قدمت مبادرتها للسلام على حساب الفلسطينيين، ولكنها تلقت صفعة في أنابوليس لم تستفق منها حتى الآن. يبدو أن بوش وحسب ما قرر بشأن المهجرين الفلسطينيين يريد من السعودية ودول الخليج تمويل (صندوق) التعويضات للمهجرين الفلسطينيين، ولربما ساهم السعوديون في توطين بعض الفلسطينيين في أراضيهم أو أراضي الغير (الأردن/ لبنان/ وسوريا).

ثالث الأهداف، ما يتعلق بالنفط وارتباط العملة السعودية بالدولار. يريد بوش أن تنتج السعودية نفطاً في حدودها القصوى، ويبدو ان السعودية تقوم بذلك الآن، ولكن هناك دفع أميركي أكثر لكي تهيئ السعودية نفسها وتأهيل حقولها وآبارها النفطية لتزيد الحد الأقصى من الإنتاج في السنتين القادمتين. أما مسألة ارتباط العملة السعودية بالدولار، فيفترض أن يطرحها السعوديون على ضيفهم بوش، فهذا الموضوع سبب حرجاً سياسياً واقتصادياً للسعودية كونه يستقطع نحو ربع إيرادات السعودية من النفط، وقد انعكس انخفاض الدولار على حياة كل مواطن سعودي، فارتفعت الأسعار للبضائع المستوردة الى أضعاف في بعض الأحيان. موضوع العملة السعودية والدولار سياسي بامتياز، ولم تستطع السعودية ودول الخليج في اجتماع مجلس التعاون الاخير حلّه او حتى الإقتراب منه. فهل يمكن أن يقتنع بوش بالرؤية السعودية ويتم على الأقل تخفيض الدولار مقابل العملة السعودية، وليس فك الإرتباط النهائي به؟

رابع الأهداف، له صله بالملفين العراقي واللبناني، حيث سيحث بوش الملك السعودي على استخدام كل امكاناتها لمواصلة دعم فريق ١٤ آذار، وكذلك بذل الجهد لدى الجهات المتشددة ولدى القوى السنيّة العربية في العراق للإنخراط في العملية السياسية، وسيقدم بوش على الأرجح تطميناته للسعوديين بأن اميركا ستقلم أظافر ايران في العراق.

سوريا والسعودية

بوابة لبنان غير صالحة لإعادة الدفء بين المتخاصمين

يحي مفتي

فشلت المبادرة العربية التي بنيت في اجتماع وزراء الخارجية العرب الأخير، والتي هندسها وزيرا خارجية السعودية وسوريا، والتي على أساسها قام عمرو موسى بتسويقها في زيارته لبنان. عاد عمرو موسى من بيروت الى القاهرة على أن يعود إليها لاحقاً في حال تطورت مواقف المتخاصمين بحيث يسمح للجامعة العربية بتجاوز العقبات الأصلية التي تكمن خلفها المشكلة بين المعارضة والموالاة. قبل أن يغادر بيروت في ٢٠٠٨/١/١١، حذر عمرو موسى بأن لبنان يتجه للمجهول وان البلد ينزلق الى مخاطر حادّة.. أعقبه فيما بعد تحذير للرئيس مبارك بأن على اللبنانيين ان يتفقوا وأن المبادرة العربية هي الأخيرة، وأن الدول العربية ستنفض يدها من الموضوع اللبناني إن لم يتحلّى المتخاصمون بالمسؤولية.

مالذي جرى بين سعود الفيصل والمعلم في القاهرة؟

هل اتفقا حقّاً على حل المشكل اللبناني على قاعدة (لا غالب ولا مغلوب)؟ وما هي الصيغة الأساسية التي فهمها المتخاصمون والتي جعلتهم يتراجعون عن ترحيبهم بها، لتموت المبادرة العربية الى حين؟

في اجتماع القاهرة، حيث التقى المعلم بسعود الفيصل، رشحت عدّة قضايا أفادت بأن ما اتفق بشأنه الوزيران لم يكن إلا تكتيكاً منهما، وأنهما لم يغيرا مواقفهما ولم يبلغاها الى الأطراف المتخاصمة هناك في لبنان بطريقة ضاغطة.

بالرغم من أن هناك إجماعاً بين السياسيين اللبنانيين يفيد بأن المشكلة في لبنان ليست بين خصوم محليين، بل خصوم إقليميين ودوليين، أي ان ما يجري في لبنان قد تم تدويله منذ زمن بعيد. وبالرغم من أن بعض السياسيين يعتقد أن بيضة القبان للإتفاق بين المعارضة والموالاة تكمن في اتفاق سوري سعودي مسبق (كما يروّج لذلك دائماً الرئيس نبيه برّي).. فإن الثابت حتّى الآن بأن الظروف الإقليمية والدولية ليست ناضجة بما فيه الكفاية لتحقيق مصالحة لبنانية، حيث تبدو القضية وكأن عدم حلّها سببه (توازن القوى) بصورة من الصور، بحيث لا يستطيع أي فريق أن يكسّر الطرف الآخر، ولو كان ذلك ممكناً لحدث وأن حلّت المشكلة في الأساس. ولا نقصد بتوازن القوى، حصّة كل طرف من الشارع (عدد الأصوات) فحسب، بل نقصد مجمل القوة السياسية والعسكرية والتحالفاتية والمالية، فنقص هنا عند هذا الطرف قد يسدّه ميزة في جانب آخر.

المهم أن اجتماع المعلم بالفيصل والذي أفرز مشروعاً هلامياً: (انتخاب العماد سليمان رئيساً للجمهورية، وحكومة يتمتع فيها رئيس الجمهورية بالصوت المرجح، ونظام انتخابي جديد).. لم يكن بالإمكان تسويقه بدون أن يعني شيئاً واحداً يتعلق بالحكومة: (أن لا تحصل المعارضة على الثلث الضامن من الوزراء، وأن لا تحصل الموالاة على ما تريده من وزراء تزيد على المعارضة). هذا المشروع لو كان يعني ما قلناه مثل ما قيل اعتماد قاعدة: (١٠-١٠-١٠) أي عشرة وزراء للأطراف الثلاثة: المعارضة والموالاة ورئيس الجمهورية، لكانت المشكلة قد حلّت. وهذا معنى أن يكون لرئيس الجمهورية الصوت الراجح، وهذا أيضاً ما دفع بالمعارضة الى الترحيب بمشروع الجامعة العربية قبل أن يصل الأمين العام عمرو موسى اليها، خاصة وأن كل التقسيمات الأخرى غير هذه لم تكن مقبولة، وقد عمل على تسويقها بعضها وزير الخارجية الفرنسي وفشلت من قبل. وهذا ـ حسبما قيل ـ أن بري قد أبلغه لعمرو موسى قبل قدومه لبيروت.

الذي حدث هو عكس هذا، فقد جاء عمرو موسى ليسوّق مشروعاً غير مكتمل النمو، ولم يرغب هو في التوضيح أصلاً، وهذا ما جعل المعارضة تتراجع وتطالب بالثلث الضامن، ولم تقبل الموالاة إلا أن يكون لها ١٤ وزيراً مقابل ١٠ وزراء للمعارضة وستة وزراء لرئيس الجمهورية، لا ترى المعارضة أن الأخيرين سيكونوا مضمونين في التصويت في مجلس الوزراء، حيث يمكن شراؤهم ـ ربما ـ كما حدث لوزراء الرئيس السابق العماد لحود.

إذن على ماذا اتفق المعلم والفيصل؟

بدا واضحاً منذ اليوم الأول أن الإتفاق لم يكن مكتوباً بالإصرار والإلزام للطرفين المتخاصمين. فالمعلم صرح بأن بلاده لا تضغط على المعارضة، وفيها شخصيات (العماد عون مثلاً) تحترمها ولكنها لا علاقة لها بسوريا أصلاً. وقيل بأن المعلم أبلغ حلفاء سوريا بأن ما تم الإتفاق عليه غير ملزم لهم، وأنه بإمكانهم رفضه أو قبوله. بمعنى أن ما اتفق عليه بين السعودية وسوريا مجرد تكتيك خاص بالدولتين وصراعاتهما ومصالحهما الخاصة.



أيضاً، ظهر من الموالاة وممثلها سعد الحريري، أنه متشدد في مواقفه، وهو تشدد أزعج عمرو موسى، خاصة في رفضه التحاور مع الجنرال عون باعتباره ممثلاً للمعارضة. وقال موسى بأنه كيف يحدث اتفاق وهناك من لا يريد أن يجلس مع الآخر؟! هذا الموقف أوصل رسالة للمعارضة بأن فريق الموالاة لم يتلقَ التعليمات من السعودية، أو تلقاها بنفس الصورة التي تلقت المعارضة الموقف السوري. وفي أحسن الظروف يحتمل أن يكون الموقف السعودي لم يلق أذناً صاغية من الموالاة التي تفتح آذانها على واشنطن وباريس أكثر من السعودية.

المسألة الأخرى التي تتعلق بموضوع التفاهم السوري السعودي، هي ما أفصحت عنه بعض المصادر من أن السعودية هددت سوريا بأنها لن تحضر القمة العربية القادمة، إن لم تتنازل بشأن الوضع اللبناني، وأن سوريا رفضت الأمر. لكن التفاهم يفيد بأن السوريين قاموا بمناورة محسوبة المخاطر، فرغت التفاهم من محتواه بالتعاضد مع تفريغ السعودية هي الأخرى للتفاهم (المبادرة العربية) من محتواه أيضاً.

فشل عمرو موسى، وقد لا ينجح إن عاد الى بيروت مجدداً، كما هو مرجح.. والحل اللبناني مستقرّ في رحم الغيب.

بوتو: (شهيدة) أم (فويسقة)؟!

السعودية لاعب أساس يخسر أوراقه في الباكستان

عمر المالكي

غني عن التذكير القول بأن الباكستان تمثل ـ من بين كل الدول الإسلامية غير العربية ـ الحليف والصديق الأكبر للمملكة العربية السعودية. فالأخيرة وضعت جهداً كبيراً في تطوير علاقاتها الثقافية والدينية والسياسية والعسكرية مع الباكستان، حتى غدت الأخيرة محكومة في جوانب كثيرة بالموقف السعودي الإقتصادي والسياسي والديني. لم تثق السعودية في تاريخها الحديث بقوات أجنبية (بما فيها الأميركية) قدر ثقتها بالقوات الباكستانية، فهي الوحيدة التي استدعيت (نحو عشرين ألف جندي باكستاني) وذلك في مطلع الثمانينيات وفي ظروف غير ضاغطة كثيراً للخدمة في السعودية واستمر تواجدها لسنوات عديدة. ولعلنا لازلنا نتذكر بأن المشروع النووي الباكستاني جاء في تمويل جزء كبير منه من السعودية نفسها. ثم إن الباكستان هي الدولة الوحيدة التي استثمرت فيها الأيديولوجيا الوهابية الكثير من طاقتها حتى تربت أجيال عليها، وانفجرت على شكل صراعات طائفية في أوقات مبكرة من التاريخ الباكستاني كان الوهابيون الباكستانيون مشعل النيران فيه منذ الستينيات الميلادية.

ومن عمق العلاقات بين البلدين، أنه لا توجد دولة عربية أو إسلامية، خلال العقود الثلاثة الماضية زار قادتها الرياض بعدد زيارات الرؤساء الباكستانيين، وأخصهم ضياء الحق. كما لا توجد دولة لها كلمة محترمة في السياسة الباكستانية من بين كل الدول الإسلامية والعربية وحتى الأوروبية بمثل ما للسعودية. لا ننسى هنا أن حبل المشنقة الذي التفّ على عنق ذو الفقار علي بوتو الذي اطاح به انقلاب ضياء الحق عام ١٩٧٧، لم يكن أحدٌ قادرٌ على إزاحته وإنقاذه منه إلا السعودية، التي رفضت التدخل بحجة أنها لا ترغب في التدخل في الشؤون الداخلية للدول الصديقة الاخرى!. ولا ننسى هنا أيضاً، بأن السعودية التي لعبت دور الوسيط بعيد انقلاب مشرف على نواز شريف، أقنعت الأخير بأن يقبل تسوية قوامها البقاء في السعودية/ جدّة منفياً لمدّة عشر سنوات قبل أن يستأنف نشاطه السياسي!

النفوذ السعودي السياسي والديني في الباكستان ـ إذن ـ لا يحتاج الى أدلّة، وهو قائم على الدعم الإقتصادي الذي توفره السعودية لنظام الحكم وللقيادات السياسية الباكستانية، وقد توفرت للبلدين فرصاً مختلفة لتجربة التحالفات السياسية بشأن قضايا محددة، مثل: الدخول ضمن المعسكر الغربي لمكافحة ما أسمي بالشيوعية، ومواجهة السوفيات بعيد احتلال افغانستان ودعم المجاهدين آنئذ انطلاقاً من الباكستان، ثم جاء دعم واعتراف البلدين بالطالبان كبديل عن المجاهدين السابقين ولكن تحت مظلة أميركية بالطبع. واعتبرت السعودية علاقاتها مع الباكستان ذات قيمة استراتيجية من جهة احتمال احتياجها للباكستان كمخزون استراتيجي عسكري/ بشري قد تستفيد منه في أية لحظة في حال تعرضت السعودية للخطر. وزادت قيمة الباكستان بالنسبة للسعودية بعد توتر علاقاتها مع إيران، ورأت فيها قوّة موازية، لكن الباكستان لم تجرب الدخول في معارك مذهبية لأنها تفجّر الوضع الداخلي الباكستاني نفسه، بل قد تفجّر الجيش نفسه الذي يتشكل من كل مواطني الباكستان.

بيد أن الباكستان أصبحت (رجلاً مريضاً) وظهر اعتلالها بعيد أحداث ٩/١١، حيث زاد التغلغل الأميركي في تلك الدولة، ووصل الأمر الى حد التهديد بالضربات العسكرية إن لم تتعاون مع واشنطن في الإطاحة بالطالبان، وهو ما كشف عنه الرئيس مشرف نفسه في كتابه الذي أصدره قبل نحو عامين. كانت سياسات مشرف راديكالية لم تتحملها البيئة السياسية المحلية التي أصبح للقوى الإسلامية المحافظة في البلاد كلمة متزايدة فيها منذ مجيء ضياء الحق، خاصة منذ مطلع الثمانينيات فصاعداً. وجد مشرف نفسه أمام ضغوط أميركية شديدة تتعلق بالمدارس الدينية، وبالسياسات القبلية شمال الباكستان، وبإعادة هيكلة جهاز الإستخبارات العسكري الذي اتهم بأنه كان وراء إنشاء الطالبان في عهد بنازير بوتو. السعودية تعرضت لضغوطات مشابهة، لكنها كانت تمتلك أوراقاً مالية وسياسية استطاعت أن تلتف بها عليها، وإن تنازلت عن بعض سياساتها.

لم يكف مشرف أنه جاء بانقلاب عسكري، وأنه قضى على المحكمة الدستورية العليا، وأنه شرّد قيادات أقوى حزبين: حزب الرابطة الإسلامية وحزب الشعب، بقيادة نواز شريف وبوتو على التوالي. أيضاً لم يكتف مشرف بأن نصب نفسه قائداً للجيش ورئيساً للبلاد في آن واحد، بل قام بمصادمة الشعور الإسلامي الشعبي والإنغماس في الدم الذي تجلّى في أحداث المسجد الأحمر.

فقد مشرف قاعدته الشعبية، وفقد ثقة شعبه، وفقد ثقة الأحزاب السياسية التي عمد الى تقزيمها، وفقد مصداقيته أمام النخب المثقفة ورجال القانون والمحامين والقضاة وحتى الإعلام. وحين جاءت الشرارة الأولى بعد عزله رئيس المحكمة الدستورية، ثم تلاها انفجار مشكلة المسجد الأحمر، كان واضحاً أن نجم مشرّف الى أفول، دون أن يكون هناك بدائل واضحة، بسبب تشظّي المعارضة. الباكستان وقفت امام خيارين: إما الثورة الشعبية التي لاح أفقها في الشارع، أو الإنقلاب العسكري على مشرف نفسه. كان هناك خياراً ثالثاً بدا أن مشرف بطبعة الخشن العسكري غير قادر بل وغير راغب في المضي فيه.

بدأت الصحافة الأميركية تتحدث عن احتمال ان تكون الباكستان إيران ثانية، بل أن أحد العناوين ظهر بهذا النص: (هل تتحول باكستان الى إيران ثانية)، بقلم غاري سيك، في غلوبال فيوبوينت بتاريخ ٢٠٠٧/١١/١٦. حيث رأى غاري سيك بأن أميركا ليس لها بديل عن مشرف، وهو ذات الوضع الذي كانت عليه في ايران حين دعمت الشاه واولته ثقتها، متجاهلة الجماهير الغاضبة في الشوارع، ولم تلتفت أميركا الى أن رجلها (الشاه) قد ذهب بعيداً في المواجهة مع شعبه الى الحد الذي لم يكن هناك بد سوى الإطاحة به دون بديل من الطبقة الحاكمة، او من الجيش، أو حتى من النخبة العلمانية المعارضة.

غير أن الولايات المتحدة التي لم تكن تمتلك البدائل الواضحة حاولت استعادة السياسيين المنفيين لترتيب إتفاق سياسي جديد. كانت ميول الغرب مع بي نظير بوتو، فنواز شريف كان أكثر تشدداً في التعامل مع مشرّف، كما أنه من جهة ثانية يحظى بدعم تيار إسلامي محافظ. بالسرعة الممكنة تمّ الضغط على مشرّف لإبداء بعض التنازلات لإبرام اتفاق، كالتنازل عن رئاسة الجيش، وقد فعل بعد تردد شديد.

حاول نواز شريف أن يصل الى جمهوره في الباكستان من جدة، فرفضت السعودية السماح له بالعودة، بحجة أن ذلك خلاف الإتفاق الذي أبرمته مع مشرف قبل سنوات سبع سابقة. والحقيقة فإن الولايات المتحدة طلبت من الرياض عدم السماح له بالسفر. لكن الأخير وبعد الكثير من النقاشات

والمفاوضات وحتى التهديد للسعوديين سمحوا له بالعودة، ولكن مشرّف أعاده من المطار خائباً.
أما بوتو فسمح لها بالعودة الى جمهورها قبله، وكانت تلك اشارة سياسية واضحة بأن مجرى السياسة الأميركية/ السعودية قد اتخذ مساره الواضح. عادت بوتو من الإمارات التي اتخذتها مقراً لها وليس السعودية، والسبب هو أن بوتو وحزبها غير أثيرين لدى السعودية، ثم أن بوتو (بي نظير) تتهم حكام السعودية بالمساهمة في قتل والدها الرئيس.
لم تجر الرياح بما تشتهيه السفن، فكان اغتيال بوتو على يد القاعدة (على الأرجح) لكن ذلك لم يغير من المعادلة كثيراً حيث يتم توظيف ابن بوتو كرمز لحزب الشعب كما توظيف العواطف الشعبية بعد مقتل الأم بوتو في الإنتخابات القادمة والتي قد تسفر عن تقدم لحزب الشعب يمكن له أن يدخل في تحالف مع أحزاب أخرى للمشاركة في السلطة الى جانب مشرّف، مع استبعاد للقوى الإسلامية التي تمثلها الجماعة الإسلامية التي رفضت الدخول في الإنتخابات ابتداءً، والرابطة الإسلامية برئاسة شريف.
المتابعون للعلاقات السعودية الباكستانية لاحظوا نفوراً من القوى السياسية تجاه السعودية بشكل غير مسبوق، بعضها يعود لمجمل السياسة السعودية تجاه القضايا العربية والإسلامية خاصة بعد أحداث ٩/١١، وبعضها الآخر يعود بالتحديد الى تطورات الموقف السعودي من الوضع السياسي الباكستاني، حيث تأخذ القوى السياسية على السعودية التالي:
ـ أن السعودية دعمت مشرّف في انقلابه العسكري، كما وفرت له الدعم السياسي قبالة معارضيه من كافة القوى الإسلامية والعلمانية، واستمرت في دعمه حتى وهي تشهد التحركات الشعبية المناهضة له.
ـ أن السعودية تشاطر مشرف سياسته تجاه القضية الأفغانية ومتتالياتها التي تؤثر على الباكستان نفسها، وأنها ظهرت وكأنها الجناح الآخر المساند للولايات المتحدة الأميركية بالإضافة الى الباكستان.
ـ أن السعودية خفضت من علاقاتها السياسية مع القوى السياسية الباكستانية بما فيها القوى الإسلامية التي كانت أثيرة لديها في السابق. قيل في البداية أن تجاهلها ذاك كان بسبب انشغالاتها بتداعيات أحداث سبتمبر عليها بسبب مشاركة ١٥ سعودياً فيها، لكن الأحداث التالية أكدت لتلك القوى بأن السعودية قد غيرت سياستها تجاه حلفائها القدامى، وأصبحت بسبب انخراطها في سياسة (مكافحة الإرهاب) الأميركية لا تميل الى توريط نفسها في علاقات مع الجماعات الإسلامية قد تقوم في المستقبل بأعمال عنف تتهم السعودية بدعمها.
ـ أن النخب المثقفة الليبرالية والعلمانية المعارضة لسلطة مشرف وجدت في السعودية منفذاً للسياسات الأميركية بحيث جعلها ذاك غير قادرة على فهم ما تريده السلطات السعودية ولماذا تضحي بمكانتها بين النخب الحاكمة والمعارضة.
فور مقتل بي نظير بوتو، بعث الملك السعودي برقية عزاء الى (مشرف!)، اعتبرها حسب النص (شهيدة): (ببالغ الأسى والأسف علمنا باستشهاد دولة السيدة الفاضلة الأخت بنازير بوتو بيد الغدر والخيانة، وإننا إذ نعرب لفخامتكم عن تعازينا الصادقة، نرجو أن تنقلوا مواساتنا لأفراد أسرتها كافة، كما أننا نتوجه عبر فخامتكم بنداء إلى الشعب الباكستاني الشقيق نعرب فيه عن استنكارنا واستنكار الشعب السعودي لهذه الجريمة البشعة، التي ارتكبها قتلة أشرار ابتعدوا عن الإسلام وعن القيم وعن الأخلاق وتحولوا إلى وحوش تسفك الدماء البريئة وتحاول فرض شريعة الغاب).
وأضافت البرقية: (نسأل الله جلت قدرته أن يتولى الشهيدة الراحلة بمغفرته ورحمته وأن يسكنها فسيح جناته وأن يجبر مصاب أهلها وذويها).
واضح أن البرقية تحمل طابعاً سياسياً، وليست فتوى دينية!، خاصة وأن السعودية اعتادت في مثل هذه المواقع على إدانة العنف كونها متهمة بتمويل الإرهاب بالرجال والمال والأفكار، ولربما كانت البرقية الطافحة بالمشاعر بمثابة (إعلان براءة) سعودية مما جرى، فلربما ظهر أن سعوديين شاركوا في الإغتيال (من يدري؟) خاصة وأن أحداثاً كثيرة جعلت السعودية تخشى من هذا الإحتمال: معارك نهر البارد، والتحقيقات الرسمية اللبنانية التي نشرتها الصحافة المحلية حول مساهمة سعوديين في اغتيال الحريري، فضلاً عن إشارات براميتز ـ المحقق الدولي ـ الى أن القاتل المنتحر ليس لبنانياً، وأنه جاء من أجواء حارة قبل نحو ثلاثة أسابيع من اغتيال الحريري!
بيد أن متطرفي الوهابية وهم من مناصري القاعدة قرأوا اغتيال بوتو دينياً، فما يجري في الكون كله بمثابة صراع مذهبي/ ديني، أو يوظّف على هذا النحو. تطفح التعليقات الوهابية فور مقتل بوتو بالتشفي والفرح وأهازيج النصر، من بين تلك التعليقات التي ظهرت على الإنترنت التالي (مأخوذ من موقع الساحات):
ـ افتتح النقاش أحدهم أو إحداهن: (قد تكون بي نظير بوتو أسوأ إمراة في تاريخ باكستان، أو حتى في تاريخ العالم بأسره. ليس هذا هو المهم أو ما أود مناقشته. المهم هنا هو أن تصفية المعارضين السياسيين بهذا الأسلوب القبيح تصرف أقل ما يقال عنه أنه فعل إجرامي بشع) ثم جاء الترحم على بوتو ووصفها بالشهيدة، فجاءت التعليقات اللاحقة عنيفة مثل:
ـ رافضية عميلة أعلنت الحرب على الإسلام علمانية، أسأل الله أن يجازيها بما تستحق.
ـ نسأل الله أن يكون في هلاكها صلاح أحوال المسلمين. ظاهرها كافرة بلا شك.
ـ كانت هذه المرأة ستسفك الدماء وتقيم المجازر بالشعب الباكستاني صغارا وكبارا نساءاً ورجالا.
ـ لا أظن عاقلا يثني عليها خيرًا، فتاريخها معروف، وعقيدتها معروفة، ولو وصلت للحكم لفعلت الأهوال، بل قد يصل الحال بها إلى تقطيع باكستان إلى دويلات (كأن بوتو لم تكن رئيسة وزراء لفترتين متتاليتين!).



ـ الحمد لله على هلاكها وإن كنت تعلمين من هي الخنزيرة بوتو أسأل الله أن يحشرك معها.
ـ من أبرز قراراتها المشرفه إقرار زواج الرجل بالرجل!
ـ جعلتها شهيده، هل شهادتها على الولاء لأمريكا، الله لا يرحمها حية وميته.
ـ والله أنا أرى أن مقتلها فيه خير، فلله در اليد التي قتلتها.
ـ أكرهها وفرح جدا بوفاتها مثل وفاة أي عدو للاسلام.
ـ نحمد الله أن تخلصنا من عدو للمسلمين.
ـ لا أظن أنه يوجد مسلم يحب الله ورسوله ودين الاسلام حزن لما حدث لبوتو.

التكفير أساس الغزو

الحروب الوهابية على الحجاز

خالد شبكشي

كان جون فيلبي مستشاراً بريطانياً خاصاً لإبن سعود، الذي طالما أطلعه على أسراره الخاصة، وأدخله قصره، وتبادل معه أحاديث بالغة الحساسية. وقد دوّن فيلبي بعضاً منها في مذكّراته، ومنها ما دار بينهما حول موقفه الديني من النصارى وسكّان الحجاز. فقد سأل فيلبي عبد العزيز عن موقفه من النصارى. فردّ عليه (إذا قدّمت أنت الإنجليزي إبنتك لي كزوجة، سأتزوجها..ولكني لا أتزوج إبنة الشريف، ولا بنات أهل مكّة ولا غيرهم من المسلمين الذين نعتبرهم مشركين)١.

وشأن مواقف عديدة تبناها عبد العزيز مستمدة من تراث آبائه وأجداده، فإن موقفه من سكّان الحجاز ليس سوى إستدعاءً لما درج عليه الأوائل من أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، في سياق التحضير لغزو الحجاز، وارتكاب أبشع الجرائم بحق الأهالي الأبرياء، وتكرارها بعد نحو قرن ونصف على يد جيش الإخوان بقيادة إبن سعود، والتي قد يقيّض الله سبحانه وتعالى لذوي الضحايا من يدوّن مظلوميتهم، ولينتصر لهم ممن ظلمهم.

وإذ لا يمكن غزو الحجاز دونما مبرر شرعي، فقد كان (تكفير) أهله مسوّغاً للقوات السعودية الوهابية بأن ترتكب مجازر متنقلة في منطقة الحجاز، وتسلب الممتلكات، وتسبي النساء، وتقتل الأطفال، وتخرّب الحقول والآبار..

فالحرب السعودية ـ الوهابية على منطقة الحجاز جاءت على خلفية دينية، وبلغت جداً مرعباً، بهدف إحتلال الحجاز وإجبار سكانه على إعتناق المذهب الوهابي، رغم أن المعارك التي نشبت بين سعود الكبير والشريف غالب في مطلع القرن الثالث عشر الهجري، إنتهى في مرحلة لاحقة الى خلاف بين عبد العزيز والشريف حسين دون أن يحقق نتائج تذكر على صعيد التحوّل المذهبي في الحجاز، رغم مساعي الوهابيين في إجبار السكان بالإكراه على فعل ذلك، ورغم ما أثارته الغارات الوهابية ـ السعودية من هلع بين سكّان الحجاز، بحيث باتوا يمقتون الوهابيين وأفعالهم، وهو مايشرحه المبعوث الفرنسي دمنغو باديا إي بينج (إن السكان والحجاج لا يستطيعون سماع مجرد إسمهم دون أن تتملك قلوبهم الرجفة بل إنهم لا يتلفظون بإسمهم إلا همساً).

وكان قاضي مكة أصدر حكماً ضد معتقدات الوهابيين عقب محاججتهم، وصدّهم عن إحداث إضطرابات في المدينتين المقدّستين، غير أنهم بدأوا بعمليات تسلل منتظمة منذ شهر أبريل ١٨٠٣، وذلك بعد إبرام إتفاقية ترسيم الحدود سنة ١٧٩٧، والتي شكّلت غطاءً لدخول الوهابيين لمنطقة الحجاز بعنوان أداء مناسك الحج.

وكانت أولى الحملات العسكرية الوهابية على منطقة الحجاز وقعت في شهر ذي القعدة سنة ١٢١٧هـ/ ١٨٠٤ على مدينة الطائف. ويصف السيد أحمد بن السيد زيني دحلان ماقام به الوهابيون في هذه المدينة بالقول:

(ولما دخلوا الطائف قتلوا الناس قتلاً عاماً واستوعبوا الكبير والصغير، والمأمور والأمير، والشريف والوضيع، وصاروا يذبحون على صدر الأم الطفل الرضيع، وصاروا يصعدون البيوت يخرجون من توارى فيها، فيقتلونهم. فوجدوا جماعة يتدارسون القرآن فقتلوهم عن آخرهم حتى آبادوا من في البيوت جميعاً. ثم خرجوا الى الحوانيت والمساجد وقتلوا من فيها، ويقتلون الرجل في المسجد وهو راكع أو ساجد، حتى أفنوا هؤلاء المخلوقات..)٢.

ويقول السيد إبراهيم الراوي الرفاعي أن عدداً من العلماء قتل في غارات الوهابيين على الحجاز من بينهم السيد عبد الله الزواوي مفتي الشافعية بمكة المكرمة، والشيخ عبد الله أبو الخير قاضي مكة، والشيخ سليمان بن مراد قاضي الطائف، والسيد يوسف الزواوي الذي ناهز الثمانين من العمر والشيخ حسن الشيبي والشيخ جعفر الشيبي وغيرهم٣.

وأحدثت القوات الوهابية السعودية مجازر جماعية في دقاق اللوز ووادي وج ونهبوا النقود والعروض والأساس والفراش أما الكتب (فإنهم نشروها في تلك البطاح وفي الأزقة والأسواق تعصف بها الرياح. وكان فيها من المصاحف والرباع ألوفاً مؤلّفة ومن نسخ البخاري ومسلم وبقية كتب الحديث والفقه والنحو، وغير ذلك من بقية العلوم شيء كثير. ومكثت أياماً يطؤونها بأرجلهم لا يستطيع أحد أن يرفع منها ورقة)٤.

وصلت أنباء المجزرة الوهابية في الطائف إلى أسماع أهالي مكة المكرمة، فالتمسوا من علمائها الذهاب الى سعود للحيولة دون إستمرار مسلسل الدم في مناطق الحجاز، فاستجاب عدد من العلماء منهم الشيخ محمد طاهر سنبل، والشيخ عبد الحفيظ العجيمي والسيد محمد بن محسن العطاس والسيد محمد ميرغني، والد السيد عبد الله ميرغني مفتي مكة، وتوجّهوا إلى سعود، فقابلوه في وادي السيل، وطلبوا منه الأمان فكتب لهم أماناً هذا نصه:(بسم الله الرحمن الرحيم، من سعود بن عبد العزيز إلى كافة أهل مكة والعلماء والآغاوات وقاضي السلطان. السلام على من اتبع الهدى. أما بعد:

فأنتم جيران الله وسكّان حرمه آمنون بأمنه، إنما ندعوكم لدين الله ورسوله (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلاّ الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتّخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولوا فقولوا: إشهدوا بأن مسلمون)، فأنتم في وجه الله ووجه أمين المسلمين سعود بن عبد العزيز وأميركم عبد المعين بن مساعد، فاسمعوا له وأطيعوا ما أطاع الله والسلام).

وعلّق السيد أحمد دحلان على كتاب سعود بالقول: (كان وصول هذا الكتاب الذي جعل أهل مكة فيه مثل اليهود يوم الجمعة سابع شهر محرم الحرام عام ثمانية عشر بعد المائتين والألف، فصعد به المنبر السيد حسين مفتي المالكية بعد صلاة الجمعة والناس مجتمعة وقرأ هذا الكتاب على رؤوس الأشهاد، فقالوا: حباً وكرامة وحمد الله تعالى على حصول السلامة)٥.

وفي اليوم الثامن من محرم من نفس العام، دخل سعود مكة وطلب من الناس الإجتماع بعد صلاة العصر بالمسجد الحرام بين الركن والمقام لأخذ البيعة والتبشير بالدعوة الوهابية: (فلما كان العصر إجتمعوا فجاء وصعد المقام الذي على ظهر زمزم والمفاتي معهم، ففهمهم وبلّغهم وتشدّق وتكلم والناس تحته ملأوا الحرم. وصار يعلمهم دين رعاة الغنم، وأجهل أهل مكة من أكبرهم أعلم. ثم وقف يخاطب الملك عبد الملك ويعلمه الدين، لا يتوقف في قوله ولا يرتبك كلما علّمه مسألة يقول له: علموا الناس حتى يعرفها الجهلة. فكان أول ما علمه من كلام لغة هو قوله إعلموا أيها الناس إن الأمير سعوداً يقول لكم: إن الخمر حرام، والزنا حرام إلى آخر الكلام الذي يعلمه البهائم والأنعام)٦.

وفي اليوم الرابع عشر من المحرم، أي اليوم السادس من دخول سعود مكة، أبطل الوهابيون صلاة الجماعة في المسجد الحرام بالطريقة التي كانت جارية وبقيت صلاة الجمعة فقط، بعد أن (كان يصلي الصبح الشافعي والظهر المالكي والعصر الحنبلي والمغرب الحنفي والعشاء يصليه كل راكع وساجد، وأمر أن يصلي بالناس الجمعة المفتي عبد الملك القلعي)٧. وأمر سعود علماء مكة بدراسة المذهب الوهابي، ولاسيما كتاب (كشف الشبهات) للشيخ محمد بن عبد الوهاب.

وشهدت الأوضاع الإقتصادية تدهوراً خطيراً سنة ١٢١٩هـ، بجانب التدهور السياسي، الأمر الذي أدى الى نقص حاد في المواد الغذائية، فساءت الأحوال المعيشية لأهالي مكة ما اضطرهم الى إرسال مكاتيب لسعود والإلتماس منه في الحصول على الغذاء درءً لكارثة إقتصادية وإجتماعية. واستغل سعود تدهور الأوضاع المعيشية لتنفيذ خطة تدميرية متسلسلة. كتب أحمد أمين (فلما دخلوا مكة، هدموا كثيراً من القباب الأثرية كقبة السيدة خديجة، وقبة مولد النبي (ص) ومولد أبي بكر وعلي)٨. وكتب إليكسي فاسيلييف (بعد أداء مراسيم الحج أخذوا يدمّرون كل الأضرحة والمزارات ذات القباب والتي أنشئت تكريماً لأبطال فجر الإسلام، ومسحوا من وجه الأرض كل المباني التي لا تناسب معتقداتهم)٩.

أما السيد دحلان فيقول (بادر الوهابيون ومعهم كثير من الناس لهدم المساجد ومآثر الصالحين فهدموا أولاً مافي المعلى من القبب فكانت كثيرة، ثم هدموا قبة مولد النبي (ص) ومولد أبي بكر ومولد سيدنا علي وقبة السيد خديجة وتتبعوا جميع المواضع التي فيها آثار الصالحين وهم عند الهدم يرتجزون ويضربون الطبل ويغنون. وبالغوا في شتم القبور التي هدموها وقالوا إن هي إلا أسماء سميتموها، حتى قيل بأن بعض الناس بال على قبر السيد المحجوب)١٠.

وبعد ثلاثة أيام من عمليات التدمير المنظّمة، محيت آثار إسلامية في مكة المكرمة، ثم سار سعود بجيشه الى المدينة بعد أن أحكم سيطرته على مكة المكرمة، وبعث خبره إلى أهالي المدينة طالباً منهم تقديم البيعة له، فامتنعوا عن ذلك، فاقتحم المدينة وخاض قتالاً شرساً مع أهلها طالت نحو شهر، سقط خلاله عدد من أبنائها، ثم استباحتها قواته، فيما توجّه سعود إلى الحجرة النبوية. يقول حسن الركي مؤلف كتاب (لمع الشهاب): (فطلب ـ أي سعود ـ الخدم السودان الذين يخدمون حرم النبي، فقال: أريد منكم الدلالة على خزائن النبي، فقالوا بأجمعهم..نحن لا نوليك عليها، ولا نسلطك، فأمر بضربهم وحبسهم، حتى اضطروا إلى الإجابة، فدلوه على بعض من ذلك، فأخذ كل ما فيها، وكان فيها من النقود ما لا يحصى، وفيها تاج كسرى أنوشروان، الذي حصل عند المسلمين، لما فتحت المدائن، وفيها سيف هارون الرشيد وعقد كانت لزبيدة بنت مروان زوجته، وفيها تحف غريبة من جملة ما أرسله سلاطين الهند بحضرته (ص)، تزييناً لقبّته (ص). وأخذ قناديل الذهب وجواهر عديدة..)١١.

كان (تكفير) المجتمع الحجازي مسوّغاً للقوات السعودية الوهابية لارتكاب مجازر متنقّلة، وسلب الممتلكات، وسبي النساء، وتخريب الحقول والآبار

ويضيف السيد دحلان (أخذ الوهابي كل ماكان في الحجرة النبوية من الأموال والجواهر وطرد قاضي مكة وقاضي المدينة الواصلين لمباشرة القضاء سنة إحدى وعشرين، وأقاموا الشيخ عبد الحفيظ العجيمي من علماء مكة لمباشرة بمكة وأقاموا لقضاء المدينة بعض علماء المدينة ومنعوا الناس من زيارة النبي (ص)١٢.

وقد أثارت أعمال الوهابيين غضب كثير من الناس وجرحت عواطفهم، (فمنهم من حزن على ضياع معالم التاريخ، ومنهم من حزن على الفن الإسلامي، ومنهم من حزن لأن مقبرة الرسول (ص)، وفخامتها مظهر للعاطفة الإسلامية وقوة الدولة، وهكذا اختلفت الإسباب واشتركوا في الغضب)١٣.

منع الحجيج عن بيت الله الحرام

أعطى عدد من الباحثين، بمن فيهم المقرّبين من آل سعود والوهابيين، تفسيرات متباينة لقرار منع المسلمين من القدوم الى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج، حيث قدّم بعضهم تبريراً سياسياً لقرار المنع،على قاعدة النزاع بين الأشراف والوهابيين، فيما اعتبر المقرّبون من الوهابيين قرار المنع بداية مرحلة التصحيح الوهابي

للمعتقدات الدينية لدى المسلمين. في المقابل، رفض علماء الحجاز مثل هذا التفسير، في ضوء ما كشفت عنه الممارسات الوهابية ـ السعودية من نهب وسلب وقتل بالجملة، إضافة الى نمط السياسة الوهابية القائمة على أساس فرض الوصاية الدينية على المسلمين والتعامل معهم كمشركين.

مهما يكن التفسير، فإن قرار منع الحجيج من القدوم إلى مكة المكرمة الصادر سنة ١٢٢١هـ، قد سبقه إنقطاع الحج العراقي بعد مجزرة كربلاء، وأعقبه الحج الشامي في العام التالي، حيث (كان أمير الحاج الشامي عبد الله باشا، فلما وصل هديه، جاءته مكاتيب بن سعود: لا تأت إلاّ على الشرط الذي شرطناه عليك في العام الماضي. فلما قرأوا تلك المكاتيب رجعوا من هديه من غير حج)١٤. وكان عبد الله باشا قد وصل الى حدود المدينة المنورة. ويعود سبب المنع الى اشتراط سعود على أمير الحج الشامي اعتناق المعتقدات الوهابية، وكان بين الحجاج الشاميين بعض الدعاة الوهابيين والذين اعتنقوا المذهب الوهابي بعد غزو سعود لمنطقة الشام.

أما موكب الحج المصري، فإن سعود أمر بإحراقه فور وصوله (وأمر بعد الحج أن ينادى ألاّ يأتي إلى الحرمين بعد هذا العام من يكون حليق الذقن. وتلا المنادي في المناداة (يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربون المسجد الحرام بعد عامهم هذا).١٥.

وعلى إثر قرار الحظر:(إنقطع وصول قوافل الحج من مصر والشام والعراق واستانبول، لأن السعوديين كانوا يرون فيما يصاحب هذه القوافل من المظاهر، ما يخالف قواعد الدين، ولا يتّفق مع مبادىء الدعوة السلفية، بالإضافة إلى أن هذه المحامل كان يصحبها قوة عسكرية خشي منها آل سعود، ولذلك لم يسمح السعوديون لهذه القوافل بأن تصل الى الأماكن المقدسة)١٦.

ثم بدأ سعود بتصفية حساباته السياسية مع العثمانيين، فقدم إلى مكة المكرمة، وأصدر أوامره بإخراج الجنود الأتراك من مكة لتكون له السيادة الكاملة عليها، وفعل الشيء ذاته في المدينة، حيث تم استبدال الحاميات التركية بحاميات سعودية ـ وهابية، وقرر بأن يلزم كل مسلم ينوي الحج التخلي عن محمله، بعد أن يخضع لفحص عقدي من قبل الوهابيين.

يسجّل السيد أحمد زيني دحلان تفاصيل دقيقة عن هذه المرحلة بما نصه: (وفي سنة سبع عشرة بعد المائتين والألف ساروا ـ أي الوهابيين ـ بجيوش كثيرة حتى نازلوا الطائف وحاصروا أهله في شهر ذي القعدة من السنة المذكورة، ثم تملكوه وقتلوا أهله رجالاً ونساءً وأطفالاً ولا نجا منهم إلا القليل، ونهبوا جميع أموالهم ثم أرادوا المسير إلى مكة فعلموا أن مكة في ذلك الوقت فيها كثير من الحجاج ويقدم إليها الحاج الشامي والمصري فخرج الجميع لقتالهم فمكثوا في الطائف إلى أن انقضى شهر الحج وتوجه الحجاج إلى بلادهم وساروا بجيوشهم يريدون مكة ولم يكن للشريف غالب قدرة على قتال جيوشهم فنزل إلى جدة فخاف أهل مكة أن يفعل الوهابية معهم مثل ما فعلوا مع أهل الطائف فأرسلوا إليهم وطلبوا منهم الأمان لأهل مكة فأعطوهم الأمان ودخلوا مكة ثامن محرم من السنة الثامنة عشرة بعد المائتين والألف ومكثوا أربعة عشر يوما يستتيبون الناس ويجددون لهم الإسلام على زعمهم ويمنعونهم من فعل ما يعتقدون أنه شرك كالتوسل وزيارة القبور، ثم ساروا بجيوشهم إلى جدة لقتال الشريف غالب فلما أحاطوا بجدة رمى عليهم بالمدافع والقلل فقتل كثيراً منهم ولم يقدروا على تملك جدة فارتحلوا بعد ثمانية أيام ورجعوا إلى بلادهم وجعلوا لهم عسكراً بمكة وأقاموا لهم أميراً فيها وهو الشريف عبد المعين أخو الشريف غالب وإنما قبل أمرهم ليرفق بأهل مكة ويدفع ضرر أولئك الأشرار عنهم، وفي شهر ربيع الأول من السنة المذكورة سار الشريف غالب من جدة ومعه والي جدة من طرف السلطنة العلية وهو شريف باشا ومعهما العساكر فوصلوا إلى مكة وأخرجوا من كان بها من عساكر الوهابية ورجعت إمارة مكة للشريف غالب ثم بعد ذلك تركوا مكة واشتغلوا بقتال كثير من القبائل وصار الطائف بأيديهم وجعلوا عليه أميراً (عثمان المضيافي) فصار هو وبعض جنودهم يقاتلون القبائل التي في أطراف مكة والمدينة ويدخلونهم في طاعتهم حتى استولوا عليهم وعلى جميع الممالك التي كانت تحت طاعة أمير مكة فتوجه قصدهم بعد ذلك للإستيلاء على مكة فساروا بجيوشهم سنة عشرين وحاصروا مكة وأحاطوا بها من جميع الجهات وشددوا الحصار عليها وقطعوا الطرق ومنعوا الميرة عن مكة فاشتد الحصار على أهل مكة حتى أكلوا الكلاب لشدة الغلاء وعدم وجود القوت فاضطر الشريف غالب إلى الصلح معهم وتأمين أهل مكة فوسط أناساً بينه وبينهم فعقدوا الصلح على شروط فيها رفق بأهل مكة فمن تلك الشروط أن إمارة مكة تكون له فتمّ الصلح ودخلوا مكة في أواخر ذي القعدة سنة عشرين وتملكوا المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وانتهبوا الحجرة وأخذوا ما فيها من الأموال، وفعلوا أفعالا شنيعة، وجعلوا على المدينة أميراً منهم (مبارك بن مضيان)، واستمر حكمهم في الحرمين سبع سنين ومنعوا دخول الحج الشامي والمصري مع المحامل مكة، وصاروا يصنعون للكعبة المعظمة ثوباً من العباء القيلان الأسود، وأكرهوا الناس على الدخول في دينهم ومنعوهم من شرب التنباك ومن فعل ذلك وأطلعوا عليه عزروه بأقبح التعزير، وهدموا القبب التي على قبور الأولياء. وكانت الدولة العثمانية في تلك السنين في ارتباك كثير وشدة قتال مع النصارى وفي اختلاف في خلع السلاطين وقتلهم..ثم صدر الأمر السلطاني (من خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم سلطان محمود خان ثاني بن عبد الحميد خان أول سلطان أحمد) لصاحب مصر محمد علي باشا بالتجهيز لقتال الوهابية وكان ذلك في سنة ١٢٢٦ فجهّز محمد علي باشا جيشا فيه عساكر كثيرة جعل عليهم بفرمان سلطان ولده طوسون باشا فخرجوا من مصر في رمضان من السنة

أخرج الوهابيون في الطائف الأهالي من المدينة وحبسوهم في حديقة عامة لثلاثة أيام وكانت النساء سافرات لأول مرة مع الرجال وبلا طعام

المذكورة ولم يزالوا سائرين براً وبحراً حتى وصلوا إلى ينبع فملكوه من الوهابية، ثم لما وصلت العساكر إلى الصفرا والحديدة وقع بينهم وبين العرب الذين في الحربية قتال شديد بين الصفرا والحديدة وكانت تلك القبائل كلها في طاعة الوهابي وانضم إليها قبائل كثيرة فهزموا ذلك الجيش وقتلوا كثيرا منهم وانتهبوا جميع ما كان معهم وكان ذلك في شهر ذي الحجة سنة ١٢٢٦ ولم يرجع من ذلك الجيش إلى مصر إلا القليل فجهّز جيشاً غيره سنة سبع وعشرين وعزم محمد علي باشا على التوجه إلى الحجاز بنفسه وتوجهت العساكر قبله في شعبان في غاية القوة والإستعداد وكان معهم من المدافع ثمانية عشر مدفعا وثلاثة قنابل فاستولت العساكر على ما كان بيد الوهابية وملكوا الصفراء والحديدة وغيرهما في رمضان بلا قتال بل بالمخادعة ومصانعة العرب بإعطاء الدراهم الكثيرة حتى أنهم أعطوا شيخ مشايخ حرب مائة ألف ريال وأعطوا شيخا من صغار مشايخ حرب أيضا ثمانية عشر ألف ريال ورتبوا لهم علائف تصرف لهم كل شهر، وكان ذلك كله بتدبير شريف مكة الشريف غالب وهو في الظاهر تحت طاعة الوهابي، وأما المرة الأولى التي هزموا فيها فلم يكونوا كاتبوا الشريف غالب في ذلك حتى يكون الأمر بتدبيره ودخلت العساكر المدينة المنورة في أواخر ذي القعدة)١٧.

وقد ضمّت الحملة المصرية عدداً من علماء الدين لمقاومة الفكر الوهابي، وإضفاء شرعية على الحملة، التي نجحت في استقطاب زخم شعبي واسع، كما حظيت بدعم المسلمين عامة.

احتدمت المعارك بين القوات الوهابية والجيش المصري بقيادة طوسون بن محمد علي باشا ودامت سبع سنوات (١٨١١ ـ ١٨١٨)، ووقف الأشراف إلى جانب الحملة المصرية. وكان خروج المدينة المنورة من سيطرة الوهابيين عاملاً أساسياً في استقطاب الشريف غالب الذي كان يحتفظ بميناء جدة، ومال إلى جبهة المصريين والأتراك وسلّم الميناء إليهم بهدف الإفادة منه في إسقاط سلطة الوهابيين في مكة المكرمة، ونتج عن ذلك دخول القوات المصرية إليها بدون قتال، بعد استمالة قبائل البدو، وحاكم الحجاز. وحاول عبد الله بن سعود إستعادة بعض المواقع التي خسرها، فغزا ينبع لقتال بعض القبائل المتحالفة مع القوات المصرية، ولجأ إلى أساليب إنتقامية ضد هذه القبائل، مثل القتل الجماعي، والسبي والنهب وهدم البيوت وإحراق المزروعات، إلا أن القبائل حافظت على ولائها للقوات المصرية.

حظيت القوات المصرية بتأييد داخلي، سيما من أهالي الحجاز، وبتأييد خارجي، وخصوصاً من في مصر والعراق وتركيا وبلاد الشام. وبعد تصفية الوجود الوهابي في الحجاز، إستقر طوسون باشا في مكة المكرمة فيما سار أحد قادة الحملة المصرية الى الطائف، فدخلها وكان معه بعض أقارب الشريف غالب، وطالبوا الأهالي تجديد البيعة لهم.

لم يقبل الوهابيون الهزيمة، وأبقوا على التعبئة العسكرية في صفوفهم، ونظّموا حملة عسكرية سنة ١٢٢٨هـ، على منطقة الحناكية بالقرب من المدينة المنورة، ولما علم البدو بخبر الحملة هربوا مصطحبين معهم بعض متاعهم. وإقتحم الوهابيون المنازل ونهبوها، ويقول إبن بشر (فدهم المسلمون ـ أي الوهابيين ـ وأخذوا ما وجدوا فيها من الآثاث والأمتاع..)١٨. ثم قام سعود بعمليات مداهمة واسعة للمناطق لضرب القبائل التي كانت مستوطنة في منطقة الحناكية. إلا أن إنهياراً دراماتيكياً أصاب القوات الوهابية السعودية إثر موت أمير الدرعية سعود سنة ١٢٢٩هـ، إيذاناً بنهاية فصل من تاريخ الوهابية السعودية كان حافلاً بالمعارك والغارات، كما تهاوت عقدة الوهابية وسط القبائل، الأمر الذي إضطر عبد الله بن سعود الى ترجيح خيار المصالحة على قائد القوات المصرية طوسون باشا، الذي عاد الى مصر كيما يعرض شروط الصلح على أبيه، فاستغل عبد الله بن سعود فرصة غياب طوسون عن الجزيرة العربية، فسار بجيوشه عام ١٢٣١هـ ناحية القصيم. يقول ابن بشر: (ونزل على بلد الخبرا وهدم سورها وسور البكيرية عقوبة لهم عن ما قدم منهم من إستدعائهم الترك ـ بما في ذلك المصريين ـ وإدخالهم، وخوفاً أن يحدثوا مثلها فيما بعد..فأقام عبد الله على الخبرا أياماً وقتل شاعراً من الخبرا إسمه عميان، قتله عبد الله بن حجيلان، ثم رحل منها وسار في وادي الرمه مسنداً إلى جهة الحجاز، وقد ذكر له عربان من حرب ومطير في أمواه الحجاز فأنذروا عنه وانهزموا)١٩.

دفعت شراسة الإنتقام الوهابيين من قبائل القصيم ونجد، إلى طلب النجدة من حاكم مصر، الذي تلقى رسائل منهم تحرّضه على الحرب ضد السعوديين. وبالفعل فشل الصلح، وكان التحريض حافزاً إضافياً للعثمانيين من أجل القضاء على الوجود السعودي الوهابي. وسلّم محمد علي باشا زمام القيادة لإبنه إبراهيم باشا، بعد موت طوسون، ونزل بقوات عسكرية إضافية في ينبع في سبتمبر ١٨١٦هـ/ذي القعدة ١٢٣٣هـ، وتوجّه إلى المدينة المنورة، ودعا الى التعبئة العامة، وأكمل استعداداته العسكرية ثم خاض معركة واسعة النطاق للقضاء التام على الوهابيين، فيما التحقت أعداد غفيرة من القبائل بصفوف القوات المصرية إستعداداً للهجوم ضد معقل السعوديين في الدرعية. وأنزلت القوات المصرية والقبائل المتحالفة معها هزيمة ساحقة بالقوات السعودية الوهابية، فكانت تسقط المناطق الواحدة تلو الأخرى، وفور وصولها إلى الدرعية ضربت طوقاً محكماً حولها دام قرابة سبعة أشهر، أدى الى تدهور الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية، واضطر الأهالي إلى الهروب خارج الدرعية بعد أن أفشوا معلومات هامة لإبراهيم باشا حول منافذ الدرعية ومواقعها الإستراتيجية، ما مهّد الطريق أمام إبراهيم باشا لشن هجوم شامل عليها، فسقطت عسكرياً، ووقع عبد الله بن سعود في الأسر، وأرسله إبراهيم باشا إلى مصر في نوفمبر سنة ١٨١٨ ـ محرم ١٢٣٤هـ، وتم إحضاره أمام محمد علي باشا، فقدّم عبد الله بن سعود ما سرقه أبوه من الحجرة النبوية، وبعد يومين رحّله إلى الآستانة لمقابلة السلطان العثماني كي ينظر في أمره، فنفذ الأتراك فيه حكماً بالإعدام، فيما تم نفي أفراد أسرته الى مصر.

وفيما كانت نجد والمنطقة الشرقية من الجزيرة العربية مسرحاً لمناوشات عسكرية بين القبائل المتصارعة من جهة وبين الوهابيين ـ السعوديين والأتراك والمصريين من جهة ثانية، استغرقت مجمل الحقبة السعودية الثانية، كانت الحجاز حينذاك تعيش وضعاً سياسياً مستقراً تحت حكم الأشراف والإدارة

العثمانية.

وبعد ظهور عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود على المسرح السياسي بعد إحتلاله الرياض سنة ١٩٠٢، بدأت حقبة جديدة بلغت ذورتها بتشكيل دولة لآل سعود بدعم من علماء الدين من المذهب الوهابي. فبعد أن وطّد عبد العزيز أركان إمارته في منطقة نجد، قاد جيشاً من الأخوان وسار بهم الى الأحساء سنة ١٩١٣ في ظل انشغال الدولة العثمانية بمواجهة الاستعمار الإيطالي على ليبيا في نفس العام، حيث استغل عبد العزيز الفرصة وهجم على الأحساء بعد أن أطلع الضابط الإنجليزي ليتشمان على خطته لترتيب أوضاع المنطقة بين الطرفين بعد السيطرة عليها، فدخل ابن سعود الأحساء وثبّت أقدامه فيها.

وكان احتلال الإحساء بمثابة الفاتح لشهية الغزو، بعد أن نجح في الحصول على دعم الإنجليز، أو على الأقل صمتهم من أجل عدم إثارة العثمانيين الذين عقدوا معهم إتفاق جنتلمان في المنطقة. وفيما لم يجرؤ أباؤه على الإقتراب من الحجاز، إبان الدولة السعودية الثانية، فإن عبد العزيز اعتبر دعم الإنجليز له في الأحساء بمثابة ضوء أخضر مفتوح لغزو المناطق الأخرى، وربما أراد أن يثبت جدارته في الحصول على ثقة ودعم الإنجليز ضد خصميه الأتراك والأشراف.

وقد دعا إبن سعود قادة الأخوان وكبار العلماء وشيوخ القبائل وأعيان الحواضر إلى مؤتمر عقد في الرياض في الخامس من يونيو ١٩٢٤ شرح فيه إبن سعود المسألة الحجازية، ورغبة الإخوان في أداء فريضة الحج، في ضوء قرار الشريف حسين بمنع الإخوان من زيارة العتبات المقدّسة، وكان إبن سعود يهدف من وراء المؤتمر الحصول على فتوى من العلماء بإعلان الحرب ضد الشريف حسين، وتعبئة الإخوان ضمن إستراتيجية عسكرية جديدة وهو ما حصل بالفعل، فاستعد الإخوان لتطبيق فوري للفتوى، فتقدّم أربعة آلاف رجل من الإخوان، وإرتدوا حرام الحج، وحملوا أسلحتهم، وتولى السلطان بن بجاد زعيم الغطغط، وخالد بن نوى قيادة الإخوان، وأغاروا على الطائف وقتلوا حاميتها. وخرج جيش الشريف من المدينة، فدخل الإخوان الطائف وأوقعوا فيها مجازر مرعبة، وأعملوا السيف في رقاب كل من يخالف العقيدة الوهابية، وقتلوا عدداً كبيراً من وجهاء مكة، في مصايفهم ونهبوا ممتلكاتهم، كما قتلوا عدداً من رجال الدين في الحجاز، ونجا الشيخ عبد القادر الشيبي سادن الكعبة بعد أن تظاهر باعتناق الوهابية. ويقول عطار في كتاب (صقر الجزيرة) الذي أملاه عبد العزيز عليه (وفي اليوم التالي، أخرجوا الأهالي نساء وأطفالاً وشيوخاً من المدينة وحبسوا في إحدى الحدائق ثلاثة أيام وكانت النساء سافرات لأول مرة مع الرجال ومكثوا أياماً بدون طعام).

وزحف جيش إبن سعود من الطائف الى مكة المكرمة، بعد أن تخلى الإنجليز عن دعم الشريف حسين، ونقضهم كل الوعود التي أعطوها له بخصوص إقامة إمبراطورية عربية تحت قيادته، بعد أن رفض القبول بدولة يهودية في فلسطين في ضوء وعد بلفور الصادر سنة ١٩١٧. ودخل الجيش الوهابي ـ السعودي مكة المكرمة، وهدم ما صادفه من آثار إسلامية وتاريخية، فيما كان أشراف مكة يرددون (إن دعوة ابن سعود مذهبية، لذلك لا تنجح خارج نجد. لا أمن في الجزيرة ولا راحة للعرب ومطامع إبن سعود تزداد يومياً فيوماً..)٢٠.

دخل الإخوان مكة المكرمة والمدينة المنورة كفاتحين، لتطهير المدينتين من البدع، حسب زعمهم، فأزالوا المعالم التاريخية وحطّموا الآثار الدينية وهجموا على المسجد النبوي، الأمر الذي أثار غضب المسلمين في أرجاء العالم. وكتبت جريدة (المصوّر) المصرية في ٤ ديسمبر ١٩٢٥ تقريراً بعنوان (إهتمام العالم الإسلامي بتخريب الآثار المقدّسة) جاء فيه: (إهتم العالم الإسلامي بما تناقلته الصحف عن تخريب الوهابيين بعض الآثار المقدّسة في الحجاز، فأوفدت حكومة إيران لجنة لتحقيق ما حدث برياسة السفير جعفر خان جلال. وقد تكرّم بمقابلة مندوب (المصوّر) في فندق الكونتيننتال وقال: كان أهم ما خربوه مقابر آل البيت وأخصها قبر السيدة خديجة والسيدة آمنة. قال السلطان ـ أي عبد العزيز ـ بلغني خبر ما حدث، حزنت لتأكدي أن لهذه الآثار حرمة وكرامة عند الكثيرين من المسلمين في أنحاء العالم لذلك سأبذل جهدي في إعادة هذه إلى ما كانت عليه).

وبسقوط الحجاز تحت سيطرة إبن سعود، بقيت عسير آخر معاقل الأتراك، ونتيجة للظروف الإقليمية والدولية نجح إبن سعود في تصفية الوجود التركي فيها، وصولاً الى إقامة الدولة السعودية سنة ١٩٣٢، التي قامت بمحو منظم لمعالم الحجاز وهويته التاريخية وتراثه الثقافي.

المصادر

١ جلال كشك، السعوديون والحل الإسلامي، أميركا، ١٩٨٢، ص ٦٠٧
٢ السيد أحمد بن زيني دحلان، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، القاهرة ١٣٠٥هـ، ص ٢٩٧
٣ السيد إبراهيم الراوي الرفاعي، رسالة الأوراق البغدادية في الحوادث النجدية، تركيا ١٩٧٦، ص ٣
٤ السيد دحلان، خلاصة الكلام، مصدر سابق ص ٢٩٨
٥ المصدر السابق ص ٣٠١
٦ المصدر السابق ص ٣٠٢
٧ المصدر السابق ص ٣٠٣
٨ أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، ص ٢٠
٩ اليكسي فاسيليف، تاريخ العربية السعودية، ص ١٢٠
١٠ السيد دحلان، أمراء البلد الحرام، ص ٣٠٢ ـ ٣٠٣
١١ حسن الركي، لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب، ص ١٠٨
١٢ السيد دحلان، أمراء البلد الحرام، ص ٣٢٦
١٣ أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، ص ٢٠
١٤ السيد دحلان، أمراء البلد الحرام، ص ٣٢٦
١٥ المصدر السابق ص ٣٢٦
١٦ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، الدولة السعودية الأولى، ص ١٣٩
١٧ السيد أحمد زيني دحلان، فتنة الوهابية، ص ص ١١ ـ ١٥
١٨ ابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، ص ١٦٣
١٩ المصدر السابق ص ١٨٥
٢٠ أمين الريحاني، ملوك العرب، ص ٥٠٧



في السعودية

الإرهاب.. ذكريات التأسيس الثقافي

محمد علي المحمود

تشير النجاحات الأمنية الأخيرة، في القبض على خلايا الإرهاب المحلي، إلى أن الإرهاب – كما نكرر دائماً – ليس ظاهرة إجرامية معزولة فحسب، وإنما هو منتج ثقافي، سيبقى في حالة إخصاب دائم؛ ما لم تتم عملية التعقيم الثقافي بجدية وحسم. طبيعة الخلايا، وعدد كوادرها، وتنوع أهدافها، وروح الإصرار، بصرف النظر عن النتائج، كل ذلك يؤكد أن البعد الثقافي، مازال هو البعد المؤثر بقوة في إمداد الحركة الإرهابية بالحياة.

جزء من إشكالية الثقافة الوعي العربي، أنه وعي آني ومباشر، يصيبه الفتور بعد اختفاء الظاهرة عن مجال رصده المباشر. نحن – كأبناء لهذه الثقافة – نستعجل حل المشاكل الكبرى، ونفضل السكوت عنها؛ لعلها تموت من تلقاء ذاتها. يستفزنا المباشر والآني، على درجة الإحساس الحاد بالمشكلة، ونعمل جادين على حلها، وتدارك تداعياتها. ولكن، ما إن تغيب عن مجال رصدنا، إلا وندخل في غيبوبة النشوة الخادعة بالانتصار.

كثير من المعنيين بالشأن الثقافي – فضلاً عن غيرهم – كان يلومنا في كثرة الحديث عن الإرهاب، ويتصور أننا عندما تحدثنا عنه مفصلاً في تاريخه ومصادره الثقافية، وحجم التعاطف معه، أننا نبالغ، وأننا نعطي المشكلة أكثر مما تستحق. وقد زادونا من حدة اللوم، بعد أن خفتت حدة الإرهاب في السنتين الأخيرتين، ورأوا أن هذا مؤشر مادي على أن الظاهر الإرهابية، ظاهرة عابرة، سرعان ما تزول، بمجرد القبض على رموز التيار القاعدي، أو قتلهم. ولكن، في كل مرة، كانت الكوادر تتجدد، والأسماء تتغير، ويبقى الإرهاب.

كثيرون لا يصدقون، أو لا يريدون أن يصدقوا أن هذا العنف الدموي الذي يهددنا في كل مكان، حتى في أقدس مكان وزمان، تم التأسيس له ثقافياً، على مدى أكثر من عشرين عاماً من زمن الغفوة غير المباركة. الجيل الذي نشأ على أشرطة الكاسيت، وكتيبات التحريض المباشر وغير المباشر، أفرز عن طريق الانتخاب الطبيعي، رأس الحرب الإرهابية المشرعة في وجوهنا اليوم.

المتعاطفون مع الإرهاب، أو على نحو أدق مع ثقافة الإرهاب، خاصة الذين لايلتزمون ببعد تنظيمي، وإنما هي سذاجة تصل حد الغباء، يؤكدون لنا في كل يوم أنهم سمعوا تلك الأشرطة المحرضة، وقرأوا تلك الكتيبات، واستلهموا تلك الكتب الموجهة، التي تصف الفكر الإسلامي المعتدل بالإرجاء، ولكنهم – مع كل ذلك – لم يصبحوا إرهابيين، بدليل أنهم لم يحملوا السلاح قط، ولم يفجروا أنفسهم في سبيل الله!، فما زالوا أحياء.

هؤلاء إما بلغوا من السذاجة حد الغباء القاتل، وإما أنهم متعاطفون ومؤيدون، ولكن في الخفاء، ولمن تعرفه إلا في لحن القول. إنهم لا يعون أن عملية الاقتناع والتأثر، ومن بعدها الاستعداد النفسي والمادي للعمل الإرهابي، يجعل من عملية تكوين الشخصية الإرهابية عملية انتخاب طبيعي. وهذه النقطة، لا بد أن ننظر إليها من زاويتين:

الأولى: أن هؤلاء الذين يزعمون عدم التأثر بالخطاب المؤسس للإرهاب، يفهمون الإرهاب في حده الإجرامي المتعين في وقائع مباشرة. ومن ثم، لا يعدون الإرهابي إلا من حمل السلاح، ومارس التفجير. وبما أنهم لم يفعلوا، فهم يعدون أنفسهم براء من الإرهاب، بل ومن التأثر بالإرهاب؛ رغم تعاطفهم الواضح مع كثير من القضايا التي يزايد الإرهابي عليها. هم لا يدركون، أولا يودون أن يدركوا أن هذا التعاطف منهم، هو بحد ذاته ممارسة إرهابية بامتياز، وأنه لولا التأثر العميق – الواعي وغير الواعي – بتلك الثقافة المؤسسة، لكان موقفهم من الإرهاب ومن ثقافة الإرهاب مختلفاً، ولنظروا إليه كجريمة لا تقبل التبرير، كما ينظرون إلى مهربي المخدرات ومروجيها.

الثانية: أن عملية الاقتناع عملية معقدة، تخضع لعدة عوامل: نفسية، واجتماعية، واقتصادية، وثقافة قبلية.. إلخ. ومن ثم، فليس شرطاً لوصف خطاب ما بأنه خطاب إرهابي، أن يكون جميع من سمعه قد تأثر به؛ إلى درجة التعاطف معه، فضلاً عن مرحلة الاقتناع فالتنفيذ وحمل السلاح. ومن هنا، فعدم تأثر الجميع بالخطاب الإرهابي، لا يعني براءة هذا الخطاب من عناصر العنف المدمر.

إننا لو افترضنا أن فضائية إرهابية ما – كبعض الفضائيات التقليدية التي تكتسب هويتها من خلال الغلو الصريح – بثت برامج تؤسس للثقافة الإرهابية، على مدى زمني طويل، وضمن خطة إعلامية محكمة، تتغيا تخريج كوادر إرهابية، تمارس الإرهاب العملي، وأنها كانت موجهة إلى أربعين مليون مشاهد – مثلاً –، فإن عدم تحول هؤلاء الأربعين مليوناً إلى إرهابيين عمليين، لا يعني أن خطاب هذه الفضائية قد أصبح خطاباً غير مؤثر في الدعوة إلى الإرهاب، وتجنيد الكوادر العاملة؛ لممارسة العمل الميداني.

الانتخاب الطبيعي في مثل هذه الحال، ألا يتعدى حجم المقتنعين بهذه الفضائية أصلاً، من مجمل هذا العدد: عشرة ملايين. ومن بعد ذلك يكون عدد المقتنعين من هؤلاء العشرة ثلاثة أو أربعة ملايين، على تفاوت كبير في درجات القناعة. وسيكون عدد الذين سينشطون للعمل غير المسلح في ميدان نشر هذه الفكرة والترويج لها، في حدود نصف مليون

على أحسن تقدير. لكن، من هذا العدد الكبير، سينخرط في المنظمات الإرهابية في حدود الخمسة آلاف إلى عشرة آلاف مقاتل. ومن هؤلاء سيكون هناك ألف أو ألفان، على استعداد تام، لتفجير أنفسهم، بغية تحقيق الرسالة الموجهة التي تبثها تلك القناة على مدار الساعة.

هكذا، يكون الإرهاب قد حقق انتصاره، حتى وإن هزم في ميادين الملاحقات الأمنية. إذ قد كسب عشرة ملايين مشاهد متأثر، وأربعة ملايين مقتنع متعاطف مبرر، ونصف مليون عامل في الميدان الثقافي غير التنظيمي للإرهاب، وعشرة آلاف مجند في المنظمات الإرهابية، وألفين، من الكائنات البشرية المفخخة التي تنقل الموت هنا وهناك.

لقد تعمدت أن أستعرض هذا المثال، على هذا النحو من التوضيح والتبسيط؛ لأن هناك الكثير ممن لايزال يجادل في أن الإرهاب من مخرجات الزمن الغفوي في تواشجه مع التقليدية السائدة في مقولاتها التاريخية الأولى. كثيرون لا يريدون أن يصدقوا أنه تم استغفال مجتمع كمجتمعنا، بخطاب يتلون بالدين، ويزايد على مجتمع متدين في أعمق أعماقه. حجم الخديعة التي مارسها خطاب زعم أنه يردنا إلى الإسلام من جديد، كبير ومروع، على درجة تجعلنا نمارس الإنكار، دون أن نعي لماذا. أولئك الذين زعموا أننا كنا – قبلهم – عن الإسلام نائمين، صوروا للكثير منا، أنهم أخرجوه من جاهليته وجاهلية آبائه، في خطاب لا يمكن – في مؤداه الأخير – إلا أن يقود إلى التكفير.

هذا الخطاب المنطوي على مقولات التمايز بين زمنين: زمن ظلال مُدّعى، وزمن هداية مُدّعاة، والذي تم توجيهه للمجتمع عامة، ولشبابه خاصة، خدع به كثيرون، لا لقوة فيه، ولا لصدق ينضح بالزهد والتجرد من قبل حامليه، وإنما لأنه مارس خداعه باسم الدين، وبمبررات النهوض بالإسلام. بل مارسه بوصفه – كما يدعي – هو حقيقة الإسلام الأولى، وأننا كنا قبله ضالين، نتخبط – كما يقول شيخهم – في جاهلية القرن العشرين.

كان هناك من لم يتحمل وهج الأحداث، ولم يستسغ المداهنة والمراوغة، وخاصة من غير الآباء المؤسسين لهذا الخطاب. ولهذا، سرعان ما جردوا أنفسهم لاستعادة موروث التقليدية، وأنزلوا مقولاتها الحدية على كل تشكيلات الزمن الراهن، وتصدوا للتأليف في هذا المضمار بكل إصرار ووضوح. وهكذا وقفوا بصراحة – عكس الآباء المؤسسين – مع الإرهابيين في بداياتهم الأولى، وأفتوا لهم بمواجهة الحكومة، ولو بالسلاح والتفجير، بدعوى التكفير؛ لأن شيخهم كان يفتي لهم – بصراحة موثقة – بأن طالبان، هي الحكومة الإسلامية الوحيدة، وأن على الجميع نصرتها بالمال والنفس، قدر المستطاع.

هؤلاء الصرحاء، أصدق بكثير مع أنفسهم ومع غيرهم، من أولئك الذين يؤسسون لثقافة الإرهاب، ويدعون البراءة من نتائجها. ولهذا دفعوا ثمن هذه الصراحة، وهذا الاستعجال – كما يقول أحدهم – في قطف الثمار. فالمسألة لم تكن مسألة خلاف على المبادئ، وإنما كانت مسألة توقيت، و(ضبط للنفس) لم يتدارسه هؤلاء المستعجلون من قبل.

ذكريات التأسيس تنضح بالكثير والكثير من المآسي. والمؤسسون مختلفون في درجة التصريح بالمقولات، وفي أهمية التوضيح للمراحل. ولا شك أن السياق يستدعي ذكر أسماء ومؤلفات. ولكن سأكتفي باستعراض نموذج واحد من رواد الزمن الغفوي، ومايزال. سأتناوله من خلال مقولاته، دون الإشارة إليه صراحة، ولا إلى عناوين محاضراته وكتيباته، التي يتدروش عليها كثير من مريديه اليوم.

إن أولئك الذين كانوا صرحاء في الإفتاء للإرهابيين بجواز ممارسة العمل الإرهابي المسلح، والذين هم الآن رهن الاعتقال؛ جراء تلك الفتاوى الإرهابية، لم يكونوا صرحاء فحسب، وإنما كانوا من الناحية المعرفية المحضة، التي تختص بتراث التقليدي، أعلم بكثير من هذه الشخصية التي سأتناول مقولاتها بالتحليل. وهذا لم يزد عليهم إلا بالنشاط الحركي والظهور الإعلامي، حتى أصبح من كبار الجماهيريين، ومن نجوم النشاط الغفوي، في تمظهراته الإعلامية كافة.

هذا الرجل، يحاول الاشتباك مع الواقع كثيراً، ويدعي فقه الواقع، وينظر لغيره، حتى ممن يفوقونه سناً وعلماً، في هذا المضمار: فقه الواقع. وهو يتصور أن فقه الواقع يكون بمجرد رصد المعلومات المجرد في أحدث صورها، ومن ثم، قراءتها بعيون تراثية. فهذا عنده هو الغاية في الاشتباك مع إحداثيات العصر، وغاية ما يجوز – من وجهة نظره – شرعاً.

بعد سقوط الاتحاد السوفييتي، حاول أن يقدم رؤية تحليلية لهذا الحدث الكبير المفاجئ. وبما أن الرجل من دعاة التفاؤل دائماً، فقد رأى في هذا الحدث مقدمة حتمية لانتصار المسلمين على أمريكا. طبعاً: كيف توصل هذا العبقري في السياسة والدين إلى هذه النتيجة التي تتفجر العبقرية من جنباتها؟!. لقد رأى أن الروس في الراهن، يعادلون الفرس في الماضي (ربما لمح – بذكاء! – الراء والسين)، بينما أمريكا تعادل الروم (ربما لمح – بذكاء! – الميم والراء). وبما أن القرآن حكم بانتصار الروم في سورة الروم، ووقع هذا تاريخياً، ومن بعده انتصر المسلمون على الروم، فلا بد أن أمريكا ستنتصر على روسيا، وهذا ما حدث كمقدمة أولية مشاهدة من قبل الجميع. ولم يبق إلا الجزء الثاني: انتصار المسلمين على أمريكا.

صدقوني، لا أمزح، فهذا تحليل لرجل ناهز الستين، ويحمل أعلى الدرجات (العلمية!)، وصدقوني أيضاً، أن هناك جماهير واسعة، ليست من الغوغاء فحسب، وإنما ممن تعلم وتثقف – أو يفترض أنه كذلك – تتخذ من هذا المحلل الاستراتيجي!، مصدراً من مصادر المعرفة، ونموذجاً للرؤية التي تجمع بين التدين والمعاصرة.

ولأنه نجم فضائي شهير، ولأن سابقته في الغفوة لا تنكر، فهو يستضاف في كل واقعة من الوقائع التي ترتبط بالعالم الإسلامي. وحتى، إن غفل عنه – ولا يغفل عن مثله! – لكون الحدث لا يحتاج إلى برنامج خاص، فالرجل يتبرع ببيان مقتضب، سرعان ما تتلقفه المنتديات التي أنشأها مريدوه. فعندما تم إعدام الطاغية: صدام حسين، في العام الماضي، تبرع الرجل لبيان الموقف الشرعي. وهو يتذاكى، فلا ينساق وراء العاطفة، وإنما يظهر بمظهر الحكيم، إذ هو من دعاة الحكمة، ومن المنظرين لها. لهذا، عمد أولاً، إلى تجريم صدام، وبيان موقفه العدائي الواضح من الإسلام. لكن، سرعان ما يتباكى – بنفس طائفي مقيت – على وقوفه ضد الفرس الصفويين كما يقول. ويعتبر هذا، الإشادة بصدام، من العدل الذي يستوجب ذكر المحاسن والسيئات.

وليس هذا النفس الطائفي المقيت لديه، بأول تحريض طائفي، فهو من كان، يصارع في سبيل الاحتراب الطائفي، ويقدم النصائح تلو النصائح، داعياً إلى اضطهاد من لا يتوافق مع تياره التقليدي. وكان قد قدّم في أوائل التسعينيات مذكرة تنضح بالطائفية إلى درجة الجنون. فهو يرصد أو يترصد لإحدى الطوائف الوطنية، ويعدد المدارس المتاحة لها، وينبه إلى خطورة وجود بعض أفرادها في التعليم، أو في الميدان الصحي، أو الميدان الأكاديمي.

حقيقة، لا أدري ماذا يريد هذا، خاصة في هذه المذكرة الطائفية. يعدد المدارس والوظائف والأعمال التجارية. إنه هنا لا يقصد منظمات صهيونية معادية، وإنما يقصد شريحة من أبناء هذا الوطن. ماذا يريد منهم أن يفعلوا، وماذا يريد أن يفعل بهم؟!. هل يتعلمون في العراء، أم ينقطعوا عن التعليم أصلاً؟، هل يتركوا الوظائف، ولمن، ولماذا؟، بل هل

يراهم مواطنين، أم لا؟، بل هل يراهم بشراً أم لا؟ لأن الوظائف متاحة للقدرات، من مواطنين وغير مواطنين. حقيقة لا ادعاء، لم أستطع – وقد حاولت بجد – أن أعرف ماذا يريد من هذا الاستنفار الطائفي، الذي يصل حد رصد الممارسات الطبيعية لأي مواطن أو مقيم، والذي لم أره يتوقف عند حد في ترصده لكل من يختلف معه في قليل أو كثير.

من الطبيعي أن المشكلة لا تقف عند هذا الحد، خاصة عندما يقوم نجم جماهيري، يتلبس الدين، ويدعي النصيحة، بزخ هذا العداء الإرهابي الطائفي داخل أبناء الوطن الواحد. الآن، يوجد الكثير من المرددين الذين يصورون كل حدث على إيقاع التمايز الطائفي، بعيداً عن الإشارة – ولو إشارة! – إلى ضرورة الالتزام بحدود الوطن الواحد، وفضاء الدين الفسيح.

إن مثل هذه الرؤية الممعنة في تعصبها ونفيها للآخر، حتى من داخل الإطار الإسلامي العام، تعكس الأزمة الحقيقية التي يعيشها الخطاب الإسلامي المختطف من قبل هؤلاء، هؤلاء الذين جعلوا من الإسلام أداة تدمير وتقتيل واحتراب داخلي، بدل أن يكون أداة سلام وإخاء، وخيرية عامة، لا تقف عند حدود الجغرافيا الإسلامية، وإنما تتعداها إلى كل العوالم، بما هو – أي الإسلام – رحمة للعالمين.

هذه الرؤية، هي دعوة صريحة ل(التطهير المذهبي)، داخل أبناء الملة الواحدة، بحيث تتجاوز في صراحتها وعدائيتها، جميع أنواع الفاشيات العرقية التي ظهرت في القديم أو الحديث؛ لأنها تتحدث بلسان الدين، وتدعي الانقياد التام في هذا السلوك للمقصد الرباني.

وإذا كان المنطق العرقي، بطبيعته عنصرياً، مهما ادعى التسامح، إذ هو يقوم على رؤية تفاضلية طبقية للأعراق، فإن المنطق الديني، بطبيعته، تسامحي، حتى وإن تم استخدامه من قبل أتباعه في لغة عنصرية. وبهذا، تغدو عملية تحويل منطق الدين إلى منطق عرقي، جريمة في حق الدين، وبالضرورة في حق الإنسان.

التعنصر حالة سيكولوجية خاصة. لكنها من جهة أخرى، حالة ثقافية عامة، تحكم جميع أبناء هذه الثقافة بمنطقها الحاد. وإذا اجتمعت – في شخص ما – حالة التعنصر السيكولوجي، مع ثقافة عنصرية، أدت إلى مثل هذه الحال من التعنصر الصريح، الذي لا يستنكف أن يمارس التطهير المذهبي علانية دونما حياء أو لوم ضمير بل بكل ما يحتويه التزمت من عناد وإصرار.

غالبا، ما يكون الذي يمارس العنصرية على إيقاع المفردة الدينية، منطوياً على بعد عرقي في التعنصر. فالذي يرى المختلف معه في تفاصيل الديني، كائنا لا يستحق الحياة، أو لا يستحق حقوق الكائن الإنساني، تراه من جهة أخرى، يرى عرقه أفضل الأعراق، وقبيلته أفضل القبائل، وشخصه أفضل الأشخاص. فهي حالة وعي بالأنا والآخر، تنسحب من شخصية عصابية أنوية؛ لتمرر ذلك على العرق، ومن ثم على مفردات الديني.

إذن، فالتعصب حالة ثقافية عامة، تتحدث عن نفسها – في بعض الأحيان – على لسان من ينطوي على حالة تعصب خاص. ولهذا، فإن الرجل الذي نادى – في مذكرة له – بالتطهير المذهبي، مارس – ولكن بلغة أقل حدة – التمايز العرقي صراحة، وألف مذكرة عن (جزيرة العرب) انطلق من أفضلية المكان!، إلى أفضلية العرق فصرح فيها أن العرب أفضل من العجم، من حيث الأصل. يقول بالنص: "عند الإطلاق والتعميم فالعرب أفضل من سواهم". بل وينقل – مؤيدا – عن تقليدي آخر قوله عن العرب: "امتازوا من بين سائر الأمم باجتماع صفات أربع لم تجتمع في التاريخ لأمة من الأمم وهي جودة الأذهان وقوة الحوافظ وبساطة الحضارة والتشريع والبعد عن الاختلاط ببقية الأمم".

لاحظ، أنه يقول هذا الكلام، ويستشهد به – مؤيدا – في العقد الأخير من القرن العشرين. ربما يمكن تفهّمه أو الاعتذار لتخلفه، لو وجد في أحد المصنفات التاريخية التي مضى عليها أكثر من ألف عام، لكن، أن يستشهد بها – مؤيدا – رجل تعلم وتكوّن وعيه في النصف الثاني من القرن العشرين، بعد أن سقطت نظريات التمايز العرقي، فهذا ما لا يمكن فهمه إلا بتصوره لم يزل – على مستوى الوعي – قابعاً في حدود القرون الأولى.

إنني لا أدري بعد كل هذا الادعاء التفاضلي المتعنصر، الذي يستطيع أي عرق من الأعراق أن يقول به، ماذا ترك للزعيم النازي: هتلر، وادعاءاته للعرق الآري المجيد!. كل فضيلة للأنا، ولكل رذيلة للآخر. بل حتى رذائل الأنا التي يستحيل إنكارها تتحول إلى فضائل، حتى الانغلاق: البعد عن الاختلاط ببقية الأمم، أصبح في هذا السياق، فضيلة للعرق العربي المجيد!. ولا يخفى هنا، أن دعوى جودة الأذهان، والحفظ، والحضارة، مجرد دعوى، لا ترد على الخاطر إلا في أحلام اليقظة. إنها دعوى للتسلية والضحك لا أكثر؛ خاصة عندما يدعيها عربي، لا يملك من كل هذه الصفات إلا أقل القليل.

لا شك أن مثل هذه الادعاءات العنصرية، قد تستهوي بعض البسطاء، وتلامس أحلام الغوغاء؛ لأنها تمنحهم نوعا من التميز الموهوم. لكن، أن توضع هذه الادعاءات العنصرية في سياق يدعي المعرفية، والأهم، أنه يدعي صاحبها الاتكاء على رؤية دينية، حتى ادعى أن تفضيل العرب على غيرهم، هو مذهب أهل السنة والجماعة!، فهذا ما يجعل منه خطابا مدمرا، يوهم الأنا بالاختيار الإلهي للعرق، ويمنحهم – ادعاء – شعار اليهودية الزائف: شعب الله المختار.

طبعا، الرجل يحاول أن يتذاكى، وربما يكون ذكيا في إطار جمهوره!. هو لا يذكر تميز العربي عرقياً لمجرد إحساس ساذج بالتميز الذاتي فحسب، وإنما يريد أن يدخل من هذه الزاوية إلى إشكالية المكان الذي كان موطن العرب الأساس: جزيرة العرب. ولهذا أتت هذه الدعوى العنصرية في سياق الحديث عن جزيرة العرب. وهو يريد تأثيم الحكومات العربية: السعودية والكويت، التي استعانت بالقوات الأجنبية، إبان الغزو العراقي الآثم للكويت. فالخصوصية المدّعاة هنا للإنسان، هي خصوصية يراد بها تعزيز الخصوصية المكانية؛ ليخلص منها إلى تأثيم حكومتي: الكويت والسعودية، بادعاء انتهاكهما لهذه القداسة التي يدعيها.

ولأن الرجل صريح أحيانا، وخاصة عندما يتذاكى، فيحاول التأسيس لمقولات لا تسمي الوقائع، وإنما تترك للجماهير تطبيقها الآلي على هذه الوقائع، فإنه عندما تحدث عن التوحيد، وكفّر – بسيف التوحيد الذي يرفعه شعارا – بقية الطوائف من المواطنين، ذكر عدة أمور، ادعى أنها تنافي التوحيد أو كماله، ومنها:

١– استقدام النصارى.

٢– الابتعاث.

٣– احترام الأنظمة الإدارية.

واضح، ماذا يقصد باستقدام النصارى، في سياق الحديث عن التوحيد، والذي يضعه في مقابل الكفر. والابتعاث عنده عمل تغريبي مدمر، ينبغي إيقافه أو الحد منه؛ لأنه يؤدي – بزعمه – إلى خفوت عقيدة الولاء والبراء، وإلى التأثر بالحياة الغربية، وكسر الحاجز النفسي بين المسلم والكافر. وهو الحاجز الذي يراه عقيدة لا ينبغي التفريط فيها. كما أن احترام الأنظمة الإدارية، والالتزام بها، يجعلها – في نظره – شبيهة بالتعاليم الإلهية. وهذا – في تصوره – خلل عقدي، لأنه يحمل نوعا من الشرك في تصور المنظر التقليدي للتوحيد.

عن: جريدة الرياض، ٢٠٠٧/١٢/٢٧م، ٢٠٠٨/١/٣م

آثار مكة المكرمة

ناصر الحارثي

تزخر مكة المكرمة بكثير من الآثار التي يعود تاريخها لحقب إسلامية مختلفة بالرغم من اندثار كثير منها بسبب التوسعات الى أجريت للمسجد الحرام على مرّ القرون، ولذلك يصح القول: إن المنطقة الواقعة تحت المسجد الحرام تشكل مدينة مكة المكرمة، وهذا ما تبيّن خلال التوسعات الأخيرة التي أجريت للمسجد، حيث كشفت أعمال الحفر والهدم عن مبان قديمة طبقات بعضها فوق بعض، أي مدينة فوق مدينة تكوّنت بمر القرون وتعاقب الأجيال. كما أن الأحياء الواقعة حول المسجد الحرام حالياً تمثل أحياء أثرية مهمة تضم مباني تاريخية متنوعة معظمها أزالها أصحابها لأغراض الإستثمار السكني والتجاري.

يمكن تصنيف الآثار الإسلامية بمكة المكرمة الى أربعة أنواع، هي: منشآت معمارية، ومواقع أثرية، ونقوش كتابية، ومقتنيات فنيّة.
المنشآت المعمارية لم يتبق منها سوى القليل، إذ أنها أكثر أنواع الآثار تأثراً بالتوسعات والتجديدات التي تمت في مكة المكرمة.
الى جانب المسجد الحرام، والكعبة المشرفة، وحجر إسماعيل عليه السلام، ومقام إبراهيم عليه السلام، وبئر زمزم، والمطاف، والصفا والمروة، فإن هناك العديد من المباني التاريخية المتصلة بأحداث السيرة النبوية، إلا أنها أدخلت في توسعة المسجد الحرام، فيما عدا دار والد الرسول عليه أفضل السلام، عبدالله بن عبد المطلب، وهي الدار التي ولد فيها عليه السلام، والتي ابتني عليها سنة ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م مكتبة سميت (مكتبة مكة المكرمة).
بالنسبة للكعبة المشرفة فإن بناءها الحالي يعود تاريخه لسنة ١٠٤٠هـ/ ١٦٣٠م، عندما أعاد السلطان مراد الرابع بناءها، بعد أن هدمها سيل سنة ١٠٣٩هـ/ ١٦٢٩م.

مساجد مكة الأثرية

أما المسجد الحرام فلم يتبق من عمارته القديمة سوى الرواق المطل على المطاف، الذي بني بين عامي ٩٧٩ ـ ٩٨٤هـ/ ١٥٧١ ـ ١٥٧٦م. أما أغلب أعمدة هذا الرواق وبخاصة التي في الجزء الجنوبي، فيرجع تاريخها الى العصر العباسي. من هذه الأعمدة ثلاثة نقش على واجهاتها أربعة نصوص كتابية تؤرخ لتجديد عمارة المسجد الحرام في عهد الخليفة العباسي المهدي مؤرخة بعام ١٦٧هـ/ ٧٨٣م. علاوة على عدد من النقوش المثبتة بواجهات الأروقة من الداخل والخارج، بعضها يعود تاريخه الى العصر المملوكي، وبعضها الى العصر العثماني، بالإضافة الى مجموعة أخرى من العصرين المملوكي والعثماني، سواء مما نشره الدارسون، أو مما لايزال محفوظاً في متحف الحرمين الشريفين.
من المساجد التاريخية التي لا تزال تحتفظ بعمارتها القديمة (مسجد البيعة) بمنى، الذي يقع بأسفل السفح الجنوبي لجبل (ثبير غيناء) المطل على منى من الناحية الشمالية في شعب عرف باسم (شعب الأنصار) أو (شعب البيعة) حيث يشاهده المتجه من مكة المكرمة الى جمرة العقبة على يساره قبل وصوله الجمرة بحوالي ٩٠٠م.
أنشأ هذا المسجد الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور سنة ١٤٤هـ/ ٧٦١م في الموضع الذي تمت فيه بيعة العقبة الثانية. ثم جدّدت عمارته سنة ٦٢٩هـ/ ١٢٣١م بأمر من الخليفة العباسي المستنصر بالله، ويتبين ذلك في ثلاثة نقوش مثبتة في الجدارين الغربي والشرقي للمسجد. ومن حيث تخطيطه فهو مستطيل الشكل يتكون من صحن مكشوف في مؤخرته، يتقدمه رواق القبلة المكون من بلاطة واحدة، تعتمد على أربع دعامات معقودة من أعلاها بخمسة عقود: أربعة مدببة وواحد منكسر. ولهذا المسجد مدخلان يفضيان مباشرة الى الرواق، أحدهما في الجدار الشمالي والآخر يقابله في الجدار الجنوبي.
أما بقية المساجد في مكة المكرمة، فقد جددت عمارتها أكثر من مرة، كان آخرها سنة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م. وقد عثر على نصوص تأسيسية تؤرخ لأعمال تجديدات وترميمات في هذه المساجد خلال القرون الإسلامية. ومن أمثلة ذلك نصان تأسيسيان يؤرخان لأعمال معمارية في (مسجد عائشة) رضي الله عنها بـ (التنعيم)، أحدهما مؤرخ سنة ٣١٠هـ/ ٩٢٢م، والآخر



البيت الذي ولد فيه الرسول حوله الوهابيون الى مكتبة

مؤرخ سنة ٦١٩هـ/ ١٢٢٢م. كما عثر في (مسجد الإجابة) على نصّين تأسيسيين أيضاً، أحدهما مؤرخ سنة ٨٩٨هـ/ ١٤٩٢م، والآخر سنة ١١٢٤هـ/ ١٧١٢م.
وطالما كان الحديث عن مساجد مكة المكرمة، فتجدر الإشارة الى (مسجد الشيخ رحمت الله) الملاصق للمدرسة الصولتية بحارة الباب، والذي أنشأه الشيخ رحمت الله مؤسس المدرسة الصولتية سنة ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٤م، ويتميز هذا المسجد بنمطه المعماري الفريد المقتبس من العمارة الهندية، وكذلك بواجهة مدخله الغنيّة بالكتابات المنفذة بخط التعليق والزخارف المتنوعة. وقد أزيل هذا المسجد سنة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

رباطات مكة وسدودها وآبارها

بالنسبة للرباطات، فقد كان بمكة المكرمة رباطات كثيرة، إلا أنها أزيلت

وأدخلت في توسعة المسجد الحرام، أو جددت عمارتها لأغراض تطويرها. وقد عثر على عدد من النقوش التأسيسية التي تؤرخ لأعمال إنشاء هذه الرباطات، ومن أمثلة ذلك نص تأسيسي يؤرخ لإنشاء رباط رامشت بن الحسين سنة ٥٢٩هـ/ ١١٣٤م، وآخر لرباط المراغي سنة ٥٧٥هـ/ ١١٧٦م، وثالث لرباط المغاربة (رباط عثمان) سنة ٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م.

أما السدود، فقد أشارت المصادر التاريخية الى مجموعة منها كانت بمكة المكرمة، إلا أن ما تبقى منها أربعة سدود فقط، إثنان في المعيصم، وواحد في شعب ثقبة (حي الغسالة)، والرابع في وادي حراض، وقد بنيت هذه السدود في العصر الأموي، بصفين من الحجارة الضخمة التي حشي ما بينهما بالدبش وبواجهات متدرجة، كما نقش على بعضها نقوش كتابية لا توحي بأنها نقوش تأسيسية بشكل صريح. ومن أمثلة ذلك نقش كتابي من عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان على حجر في جدار السد الواقع على يمين السالك للطريق المؤدي للمجزرة مما يلي مزدلفة، فيما يأتي نصه تماماً كما جاء في الحجر:

- صلى الله على عبد الله عبد
- الملك أمير المؤ
- منين

من أهم المنشآت المعمارية في مكة المكرمة ذلك المشروع المائي العملاق الذي أجرته السيدة زبيدة زوجة هارون الرشيد سنة ١٩٣هـ/ ٨٠٨م، من أسفل جبل (كرا) الى مكة المكرمة. إذ لايزال مسار قناة عين زبيدة ماثلا للعيان في وادي نعمان وعرفة ومزدلفة ومنى والعزيزية، بما احتوى عليه من دبول وقنوات وخرزات وبرك وأحواض وقناطر. وقد تعهد خلفاء المسلمين وسلاطينهم وأمراؤهم واثرياؤهم هذه العين بأعمال الإصلاح والترميم والتجديد كلما احتيج الى ذلك. وليس أدل على ذلك ما ذكرته المصادر التاريخية، وما كشفته النصوص التأسيسية التي تحتفظ بها بعض المتاحف بمكة المكرمة.

بالإضافة الى ما سبق، فهناك بقايا دبل (عين حنين) في الشرائع وخرزاتها، وهي العين التي أجرتها السيدة زبيدة الى مكة الكرمة قبل إجرائها عين زبيدة. والى جانب هذا النوع من المنشآت، هناك أخرى تندرج في هذا الإطار مثل: الآبار التي بلغ عددها بمكة المكرمة مائة وإثنتين وتسعين بئراً، معظمها اندثر في الوقت الحاضر، إلا أنه تم العثور على نصوص تأسيسية تؤرخ لأعمال حفر آبار بمكة المكرمة.

من أمثلة ذلك نص كتابي محفوظ في متحف جامعة أم القرى يؤرخ لحفر بئرين في الشرائع حفرهما سليمان بن مهران في منتصف القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، غير أن أهم بئرين في مكة المكرمة هما: بئر زمزم، وبئر طوى بجرول. كما عثر على نص تأسيسي محفوظ في المتحف نفسه يؤرخ لتعمير وإصلاح بركة بمكة المكرمة بأمر الخليفة العباسي المقتدر بالله سنة ٣١٥هـ/ ٩٢٧م.

بالإضافة الى ما سبق ذكره من منشآت معمارية مائية، فقد كان بمكة المكرمة والمشاعر المقدسة عدد كبير من أسبلة المياه، ومثله من البازانات، ولكنها أزيلت في التوسعات التي تمت على مر القرون الإسلامية.

المدارس والدور السكنية

من المنشآت المعمارية في مكة: المدارس، وقد أحصى محمد عمر رفيع عدداً كبيراً منها، إلا أنه لم يتبق منها سوى المدرسة الصولتية بحارة الباب، والتي أنشئت في أواخر القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي.

اما الدور السكنية بمكة فهي كثيرة، ويغلب على معظمها الطابع المعماري الحجازي التقليدي، الذي يتميز بتعدد أدواره، وتزيين واجهاتها بالرواشين، سواء المتعددة، أو التي تحتل الواجهة بأكملها أو تلك التي تتوسطها رأسياً من أعلى بوابة المدخل الى نهاية الطابق العلوي، والنمطان الأخيران شاعا في عمارة المسكن بمكة المكرمة منذ أواخر القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي.

كان بمكة داران شهيرتان، هما: (دار السعادة) بأجياد، و(دار الهناء) بالشامية. وكانت (دار الهناء) قبل إزالتها، مكونة من ثلاثة مبان، أقدمها في المؤخرة مؤرخ سنة ١٠٣٠هـ/ ١٧١٧م، وأحدثها في المقدمة مؤرخ سنة ١٢٣٢هـ/ ١٨١٦م، أما الأوسط فإن تاريخ إنشائه يرجع الى القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي. وتتباين هذه المباني فيما بينها من حيث التخطيط والتصميم العام، فبينما المبنى الذي في المؤخرة على غرار طراز المساكن المملوكية والعثمانية المبكرة، الذي يتميز بوجود ديوان كبير بارتفاع طابقين مفتوح من إحدى واجهاته على فناء تتوسطه نافورة؛ فإن طراز المبنى الأوسط حجازي صرف؛ أما الثالث فطرازه عثماني.

المقابر والأسواق والدروب

فيما يتعلق بالمقابر الأثرية الشهيرة في مكة المكرمة فقد بلغ عددها ست مقابر، هي:

- مقبرة المعلاة، وهي المقبرة الرئيسة بمكة المكرمة. وتقع على يمين ويسار الصاعد الى الحجون، عثر فيها على ما يزيد على ١٢٠٠ شاهد قبر من مختلف العصور الإسلامية، كما لاتزال توجد في باطن الأرض بهذه المقبرة مئات الشواهد. وقد تبين ذلك عندما أجريت قبل سنوات بعض التوسعات والترميمات في هذه المقبرة التاريخية.
- مقبرة الشبيكة، التي كان اسمها قديماً مقبرة (المطيبين) أو مقبرة (الأحلاف).
- مقبرة المهاجرين بالحصاص في الزاهر.
- مقبرة الشيخ محمود بآخر ريع الرسام وأول جرول للخارج من مكة المكرمة.
- مقبرة الخرمانية بالمعابدة.
- مقبرة السيد ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها بوادي سرف (النورانية) على مسافة ١٥ كيلومتراً من مكة المكرمة شمالاً غربياً، على يسار السالك لطريق مكة المدينة من هذا الوادي.



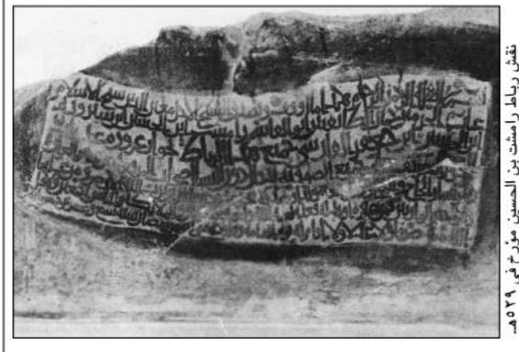
نقش في اسطوانة بالحرم المكي تاريخها يعود لسنة ١٦٧هـ

أما الأسواق فقد اشتهرت مكة المكرمة بها سواء التي كانت بداخلها مثل: سوق سويقة، وسوق الشامية، وسوق الليل، وسوق الجودرية (المسعى)، أو تلك التي كانت في المشاعر المقدسة مثل: سوق عرفة، وسوق منى، وهما سوقان موسميان كانا يقامان في موسم الحج. على أن أشهر الأسواق القديمة في مكة المكرمة إثنان اقترنا بسوق عكاظ، هما: سوق ذي مجاز الذي حدد موقعه جنوب شرائع المجاهدين العليا، وسوق مجنة الذي اختلف

الباحثون في تحديد موقعه. قيل: في الجعرانة، وقيل: وراء التنعيم، وقيل: في الأطوى، وقيل: في بحرة.
ومن المنشآت المعمارية المهمة في مكة: دروب الحجيج، من أشهرها درب زبيدة/ درب الحاج العراقي، وكذلك درب الحاج الشامي. الأول يصل مكة المكرمة من الشمال الشرقي، والثاني من الشمال الغربي. وقد بنيت على مسافات متقاربة على هذين الدربين العديد من المحطات التي احتوت على البرك والأحواض والمساجد والمباني السكنية وأبراج المراقبة والآبار وعلامات الطرق، مما تم بناؤه في العصر العباسي، أو جدد أو رمم خلال العصور اللاحقة، من خلال ما تم العثور عليه من كسر فخارية، وخزفية، وزجاجية، ومسكوكات، ونقوش كتابية، ومن أهمها نقش إصلاح درب زبيدة الذي يعود تاريخه الى عهد الخليفة العباسي المقتدر بالله.

المنشآت العسكرية وأعلام الحرم

كان بمكة المكرمة العديد من القلاع العسكرية، مثل: قلعة أجياد التي كانت تقع على الجزء الشمالي من جبل (خليفة) المطل على المسجد الحرام من الناحية الجنوبية، والتي بنيت سنة ١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م، ثم أزيلت سنة ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م لصالح وقف الملك عبد العزيز، مما أثار ضجة محلية وخلافات بين السعودية وتركيا. كذلك هناك القشلة (دار الضيافة) بجرول



نقش رباط رامشت بن الحسين مؤرخ في ٥٢٩هـ

التي بنيت فيما بين ١٣١٢هـ - ١٣١٨هـ/ ١٨٩٤ - ١٩٠٠م، بالإضافة الى قلعتي (لعلع) و (هندي) الواقعتين على قمتين من قمم جبل (قعيقعان). بنيت الأولى سنة ١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م، ثم حولت الى مستشفى سنة ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م، ثم اتخذت مركزاً للبرق ومدرسة للاسلكي في العصر السعودي. والأخرى بنيت سنة ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م، ثم اتخذت مدرسة سنة ١٣٣٥هـ/ ١٩١٦م، ثم قلعة عسكرية سنة ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م، ثم مركزاً للإذاعة، فمدرسة لتحضير البعثات، ثم معهداً لإعداد المعلمين، ثم مقراً لكلية الشريعة بجامعة أم القرى عند إنشائها سنة ١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م.
علاوة على ما سبق، فهناك العديد من القلاع والأبراج الواقعة على الدروب المؤدية الى مكة المكرمة، سواء درب الحاج العراقي (درب زبيدة) أو درب الحاج الشامي، أو طريق مكة جدة القديم، أو درب الحاج اليمني التهامي، وقد بنيت كلها في أواخر العصر العثماني.
ومن المنشآت المعمارية المهمة في مكة المكرمة أعلام الحرم، التي تبين حدود الحل من الحرم، وقد بنيت حول مكة المكرمة، ولم يتبق من هذه الأعلام إلا أعلام التنعيم ذات الشكل الإسطواني الذي ينتهي بشكل مخروطي مضلع، والتي بنيت في العصور العثمانية. أما بقية الأعلام سواء أعلام الشميسي (الحديبية) أو أعلام الشرائع، أو أعلام عرفة، أو أعلام طريق اليمن، فقد تم تجديدها مرات عديدة.

مواقع أثرية ومتاحف

زاد عدد المواقع الأثرية المكتشفة في مكة المكرمة على الخمسين موقعاً، معظمها تزخر بالنقوش الكتابية. تقع معظم هذه المواقع في الأودية المحيطة بمكة والمشاعر المقدسة مما يدخل في نطاقها الجغرافي، وتتركز مجموعة منها في الجهات الشرقية والشمالية والغربية من مكة المكرمة. ويعزى هذا الأمر لأسباب منها: تركز الإستيطان البشري خلال العهود الإسلامية المبكرة في هذه الأودية، ووفرة مياهها ومراعيها، فضلاً عن مرور دربي الحاج العراقي (زبيدة) والشامي بها، وكذلك وجود المشروعين المائيين المهمين المتمثلين في عيني زبيدة وحنين، بالإضافة الى قربها من المشاعر المقدسة.
ويعد (وادي العسيلة) من المواقع الأثرية في مكة، وكان يعرف قديما باسم (شعب خالد بن عبدالله آل أسيد). ويقع هذا الوادي شمال شرق مكة المكرمة، ويبعد عن المسجد الحرام حوالي ١٢ كيلومتراً. وقد عثر في الوادي على آبار عباسية، وكسر فخارية وخزفية وزجاجية أموية وعباسية وعثمانية، كما عثر فيه على قنوات مياه وأحواض يعود تاريخها للعصر العثماني، وفضلاً عن ذلك فإن هذا الوادي يعد من أكثر المواقع الأثرية بمكة من حيث عدد النقوش الكتابية، إذ يزيد عددها فيه على ستين نقشاً، كلها يعود تاريخها للقرنين الأول والثاني الهجريين/ السابع والثامن الميلاديين. إثنان مؤرخان سنة ٨٠هـ/ ٦٩٩م، وهما بخط الخطاط عثمان بن وهران، ونص أحدهما كما جاء في النقش:
- يا داود إنا جعلناك
- خليفة في الأرض
- لتحكم بين الناس
- بالحق ولا تتبع الهوى
- فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون
- عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم
- الحساب وكتب عثمان بن
- وهرن في سنة ثمانين
ونقش آخر مؤرخ سنة ٩٨هـ/ ٧١٦م.
وتحمل هذه النقوش أسماء شخصيات معروفة في صدر الإسلام منها: صفية بنت شيبة بن عثمان، ومحمد بن عبدالعزيز بن جريج، وإسحاق بن إبراهيم، وإسماعيل بن عبد الملك، وعبد الله بن محمد، وإسحاق بن محمد، وعبد الملك بن عبدالرحمن، وعبد الرحمن بن محمد، وعمر بن عبد الرحمن وغيرهم.
يلي موقع (وادي العسيلة) في الأهمية (وادي الحرمان) الواقع على الحافة الشمالية لعرفات، إذ يحتوي على واحد وثلاثين نقشاً، ثلاثة منها مؤرخة: إثنان من الثلاثة مؤرخان سنة ٨٤هـ/ ٧٠٣م، ونص أحدهما:
- يايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم وا
- لذين من قبلكم لعلكم تفلحون وكتب عبدا
- لله بن عمارة لسنة أربع وثمانين
أما الثالث فمؤرخ سنة ٩٨هـ/ ٧١٦م، ونصه:
- أفنا الجديد تقلب الشمس
- وطلوعها من حيث لا تمسي
- وطلوعها بيضاء صافية وغروبها
- صفراء كالورس
- وكتب أبو جعفر بن حسن الهاشمي
- سنة ثمان
- وتسعين
كما يلفت النظر في هذا الوادي وجود نقوش عبارة عن أبيات شعرية، منها نقش مؤرخ سنة ١٩٨هـ/ ٨١٣م، نصه:
أدركت ناساً مضوا كانوا لنا سكنا

وسوف يلحق بالماضي الذين بقوا

وآخر نصّه:

من يسأل الناس يحرموه

وسائل الله لا يخيب

ومن المواقع الأثرية المهمة في مكة المكرمة موقع أثري يعرف باسم (دويدة) يقع في منتصف الطريق على يسار الذاهب الى الجعرانة من وادي سرف (النورانية). يحتوي هذا الموقع على عشرين نقشاً يعود تاريخها للقرنين الهجريين الأول والثاني/ السابع والثامن الميلاديين. وتحمل هذه النقوش أسماء شخصيات من أسرة ابن خنيس.

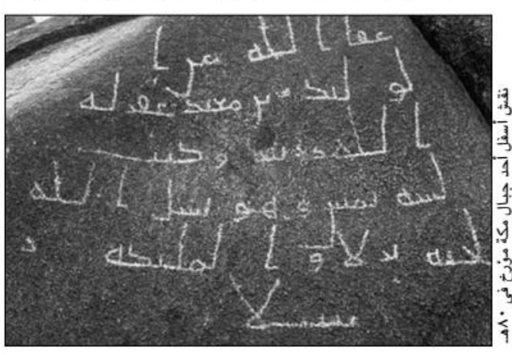
ومن المواقع أيضاً (حجر خليفة) أو (الخلاص) الواقع على يمين المتجه الى مزدلفة من عرفات عبر طريق رقم ٩ بعد تجاوزه محطة وقوف سيارات الترددية بحوالي ٥٠٠م، حيث توجد صخرة كبيرة في وسط الشعب نفذت بجوانبها مجموعة من النقوش الإسلامية المبكرة، أحدها يحمل اسم مصعب بن شيبة حاجب الكعبة المشرفة في القرن الثاني الهجري، ونصّه:

- اللهم صلِّ

- أنت وملائكتك

- على مصعب ابن شيبة

ومن المواقع أيضاً جبل (الشعراء) أو (الشُعْر) الواقع على حدود عرفات الشمالية الغربية، حيث توجد بأسفل الجبل مما يقابل طريق رقم ٩ مجموعة



نقش أسفل أحد جبال مكة مؤرخ في ٨٠هـ

من الصخور نفذت بواجهاتها كتابات من الحقبة نفسها، ومنها: نقش باسم مصعب بن شيبة أيضاً.

كما توجد بعرفات مجموعة من النقوش التي يعود تاريخها للحقبتين الإسلاميتين المبكرة والمتأخرة، وتتنوع هذه النقوش في (جبل الرحمة) والجبل المقابل له من الناحية الجنوبية، وتحمل أسماء شخصيات مثل: عبد الله بن محمد، وعبد الله بن خالد، وعبد الملك بن عبد الله بن عقبة، ومحمد آل بيان الحكم، ومحمد عليجن لمنجان، وأبو عدي بن زياد وغيرهم.

ومن المواقع الأثرية المهمة أيضاً ثلاثة مواقع يحتوي كل منها على مجموعة من النقوش: الأول بأسفل (جبل أسلع) المطل على (المغمس) من الناحية الغربية، والثاني في الرشيدي على درب زبيدة قبل محطة البرود مباشرة للقادم الى مكة، والثالث بأسفل أحد الجبال الواقعة بين المعيصم والعسيلة. ويعود تاريخ هذه النقوش الى القرنين الأول والثاني الهجريين، منها نقش مهم مؤرخ سنة ٨٠هـ/ ٦٩٩م، في الموقع الأخير نصّه:

- عفا الله عن ا

- لوليد بن معبد غفر له

- الله ذنبه وكتب

- لسنة ثمانين وهو يسل الله

- لجنة نزلا والملائكة

- رسلا

كما عثر على عدد من المواقع الأثرية في أودية متفرقة حول مكة المكرمة، في كل موقع منها أربعة نقوش تعود للعود الإسلامية المبكرة، في كل من جبل الخنادم، ودقم البطين، ووادي سبوحة، وملكان، ووادي الكفو باليمانية. وهناك مواقع أخرى لم يعثر فيها إلا على نقش واحد أو اثنين من الحقبة نفسها، بكل من: أم الرين، والمعيصم، وريع بخش، والجعرانة، وجبل الميثب، والمضيق، ووادي حراض، والمفجر، والناصرية، والخشنة. وفي هذا الموقع الأخير عثر على أحد النقوش المهمة جداً، مؤرخ سنة ٥٦هـ/ ٦٧٥م، وهو من أقدم النقوش الإسلامية المؤرخة في العالم، ونصّه:

- اللهم اغفر لحدبة

- بن علي بن هبيرة

- كتب لسنة ست وخمسين

مقتنيات المتاحف

تتوزع المقتنيات الفنية المصنوعة من مواد خام متنوعة، مثل: الخشب، والمعادن، والزجاج، والفخار، والخزف، والرخام، والجلد، والورق، والمنسوجات وغيرها، في عدد من المتاحف بمكة المكرمة. ولعل أكثر هذه المقتنيات قيمة تلك المعروضة في متحف الحرمين الشريفين بأم الجود، وفي مستودع الحرم المكي الشريف؛ لأنها تشكل مجموعة متنوعة من عهود إسلامية مختلفة، تمثل ما كان موجوداً في الكعبة المشرفة والمسجد الحرام من شمعدانات، ومشكاوات زجاجية، ونقوش تأسيسية، وأعمدة رخامية وخشبية، ودوارق، وطاسات، وقاعدات رخامية وحجرية، وتيجان أعمدة، وأبواب، وميازيب، وبلاطات رخامية، وحلقات برونزية مما كان يثبت فيها ثوب الكعبة المشرفة، وأطواق فضية خاصة بالحجر الأسود، وأباريق وطسوت، وعملات وأختام، وغيرها. كما تحتفظ مكتبة الحرم المكي الشريف بمجموعات نادرة من المخطوطات من مختلف العصور الإسلامية في شتى أنواع المعرفة، مثل: المصاحف الشريفة، وكتب الحديث، والفقه، والعقيدة، واللغة العربية، والكيمياء، والطب، والرياضيات، والفلك، والنبات والأدوية، والتاريخ.

بالإضافة الى ذلك، هناك المتحف الإسلامي بمكة المكرمة الذي يتخذ من قصر الملك عبد العزيز بالزاهر مقراً له. ويحتوي هذا المتحف على تحف فنية مما يعود تاريخها الى عصور إسلامية مختلفة. ولعل أهم ما يحتفظ به في هذا المتحف مجموعة قيمة من الأدوات والأواني المعدنية التي يعود تاريخ معظمها الى أواخر العصر العثماني، وكذلك كسر فخارية وخزفية أموية وعباسية ومملوكية وعثمانية تم العثور عليها في أثناء أعمال الحفريات التي أجريت قبل سنة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م أمام مكتبة مكة المكرمة، فضلاً عن اقتناء هذا المتحف ما يزيد على مائتي نقش من عصور إسلامية مختلفة معظمها شواهد قبور، منها مائة وثلاثين شاهداً تم نقلها من مقبرة المعلاة خلال التوسعة التي أجريت للمقبرة في الأعوام بين ١٤٢١ ـ ١٤٢٣هـ.

ومن المتاحف المهمة التي تحتوي على كثير من المقتنيات متحف جامعة أم القرى، الذي يحتفظ فيه بمجموعة قيمة من شواهد القبور، والرسوم الصخرية، واللوحات التأسيسية التي تؤرخ لأعمال إنشاء آبار وبرك، وكذلك عدد من الأدوات والأواني والأسلحة، والمخطوطات، ومصنوعات رخامية وفخارية متنوعة معظمها يعود تاريخه الى أواخر العصر العثماني.

كما يحتفظ قسم المخطوطات بالجامعة نفسها بمجموعة من المخطوطات النادرة، من أقدمها مخطوطة قرآنية على رق الغزال. أما بقية المخطوطات فيعود تاريخها للعصرين المملوكي والعثماني.

الى جانب هذه المتاحف الحكومية هناك متاحف أهلية، من أهمها متحف أم القرى الذي أسسه صاحبه الأستاذ حسن خوجه، إذ يحتوي متحفه على كثير من أنماط التراث المكي.

كيف نشتكي من التخلف، ونحن نستميت في صناعته؟!

لا تنسوني في السجن!!*

د. محمد الأحمري

هذه الكلمة من الرسالة العاصفة التي أرسلها فؤاد فرحان الغامدي قبل سجنه، ينادي ذوي المروءة في كل مكان ألا ينسوه في السجن، فتحرك المدونون في العالم يطالبون من كل جهة، حتى بلغ الأمر مستوى الخارجية الأمريكية، وقناة الحرة، وجريدة نيويورك تايمز وجريدة واشنطن بوست، والهيرالد تريبون والإندبندنت البريطانية، وقناة سي إن إن، وموقع بي بي سي، ثبّت خبره على الصفحة الأولى وغيرها مما لا يحصى. موقف مشرّف أحدثه الذين طالبوا بالحرية، ومثلهم الشرفاء من المدونين الذين ساهموا في هذه الحملات المقدسة لنصرة المظلومين، إن سجن فؤاد وعلي القرني تاج على رؤوسهما، وعيب على الذين يصمتون ولا يتفوهون بحق مساجين كلمة الحق.

فرحت بأن تعالت الأصوات من أرجاء العالم تطالب بإخراجه، وهو الأجدر بالحرية، لأنه فقدها بسبب مطالبته بحقوق المحرومين منها، وهو ممن يسهرون على فكاك الآخرين، فجريمته أنه كتب عن المسجونين بلا سبب، أو أنه كتب عن صديقه سعود مختار وعن بعض المظلومين الآخرين، جريمته أنه رفع عن نفسه عيب الصمت المخذّل.

علي القرني سجين ولا يعلم إلا الله أي تقرير قضى على حريته!! قيل بأنه كتب في الإنترنت أو ربما اتهم بأنه طالب بإطلاق دعاة حقوق الإنسان!

ولكن للقرني مشكلة أكبر، وهو ألا معرفة له في الخارج تسانده، ولا تتحدث عن الظلم الذي وقع عليه!!

وكم نفرح عندما تتقدم وسائل الاتصال الحديث طريقة جديدة تخفف بها عن مظلوم، أو تساعد مقهور، أو تساعد في تطوير الثقافة والمعرفة.

لا شك كانت مفاجأة للذين لم يعرفوا المدونات وأهميتها ودورها في التقدم والتنمية والإصلاح.

فهل ستحرم بعد اليوم؟

أي منا لا يشكر ذوي المروءة من الصحفيين والمدونين في العالم الذين رفعوا أصواتهم لتحرير المقهورين في السجون العربية، لقد أصبح الإعلام الرسمي العربي قبرا للمروءة، كما هو قبر للحمية والعزة؛ فشكرا للإعلام البديل!!

علينا أن نشكر الرجال والنساء من شتى أقطار العالم، الذين يعملون على حريتنا، فهل أصبحوا أملنا! لقد أدوا ما عليهم، واحترموا إنسانيتهم، وكرامتهم. إن الصمت القاتل الذي نمارسه ضد المظلومين من المساجين إنما نساعد بهذا الصمت في نشر بذور الإرهاب، وفي نشر الرعب والخوف والذل، وننشر التمرد والفساد.

فؤاد فرحان الغامدي، أحد الإعلاميين المشاهير والموهوبين، ورائد للمدونين الذين لهم فضل كبير على حركة الصحافة الاليكترونية في العالم الإسلامي وخارجه.

أحزنني جدا أن أجد رجال الكونجرس يحررون السياسيين السوريين من سجن بشار، وأن تستخرج هيلاري عفوا عمن تشاء، ورجالنا أعين تحملق، وألسن لا تتحرك، وقلوب لا تتألم لأسر مهدمة، وبيوت موحشة، وقبور شاسعة من السجون تبنى لتقتل فيها الأرواح والأبدان.

إن الصامتين على سجن المظلومين هم حقا من يهدم الدول، ويخذل الحكم، ويضعف المجتمع، ويدمر الإنسان، وينشر السوء، هم الشياطين الخرس، فلتحذرهم الحكومات، كنا نود لو وجدنا قائمة بالمشايخ وأعضاء مجالس الشورى، والبرلمانات والصحفيين والدعاة الذين يطالبون بالإفراج عن المساجين، حتى نثق أن الوضع جيد، وأن كلمة الحق بلغت، وأن هناك مجتمع حي كريم شهم، وأن الناس عندنا يترفعون على شهواتهم الصغيرة، ويرقون للمعالي ويضحون بشيء من بالزلفى للمصالح العامة.

ما دامت وجوه المجتمع تقبر حيّة في السجون، والصمت يعم، والخوف يقتل الأرواح، وشهوات الوجاهة والمناصب والمال متحكمة، فإنكم لا توعدون إلا بالهوان، وما هو أهون منه.

ما دام الناس يرتفعون بالتملق والنفاق، وتسقطهم كلمة الحق، من أعين الخاصة والعامة، وتضع الرجولة والجرأة من قدرهم، وتذلهم المروءة، وتعد من عيوبهم، ويرعبهم الجواسيس، وتأكل أعمارهم السجون، فإنها لحياة بئيسة، وإنسانية منقوصة.

إن لنا أمل عاجل في إطلاق المساجين السياسيين سجناء الرأي ممن لا جريمة لهم إلا المطالبة بالحقوق الإنسانية التي أمر بها الإسلام وضمنتها شرائع البشر.

قال فؤاد: "لا تنسوني في السجن".

إنها رسالة معبرة عن استنكاره لسلوكنا تجاه مساجين الحرية والكرامة من قبله، تجاه دعاة الإصلاح، ورجال المستقبل، من هؤلاء الأفذاذ الناصحين الكاتبين عن أهمية حرية الناس ومجتمعهم.

لا تقبروا المصلحين وتدفنوا فضائلهم لأنهم أحرجوكم أو كانوا أشجع منكم

وإذا لحقكم عيب الصمت والخذلان فكفروا عنه بذكر محاسنهم ورفع الظلم عنهم.

لكأن هؤلاء المساجين يجرون وراءهم جسدا ثقيلا متخما باردا لا يحب أن يتحرك للمعالي، أو يحب أن يتقدم دون أن يدفع لحريته أي ثمن ولو بكلمة نافعة.

نستغرب أن يسعى البعيدون لتحرير أشهر مدون، وأحد الأصوات السياسية الصادقة، ومن قدم في ميدان الإعلام الإليكتروني ما لم يقدمه أحد فيما أعرف في بلاده، وللمسلمين في مناطق كثيرة في العالم.

فؤاد: حق على الشرفاء ألا ينسوك، ولا ينسوا علي القرني، ولا كوكبة الأفاضل الذين أذلوا لأنهم يبتغون العزة لأنفسهم ولمجتمعهم ولأمتهم.

وقديما قالوا: ولد للعميان ولد يبصر ففقأوا عينيه من كثرة تحسسها، أو معرفتها ومراقبتها!!

إنها غنيمة العميان بل مصيبتهم، فقد خرج الصبي ببصره على الإجماع!



فؤاد فرحان في سجون آل سعود: جريمة الكتابة!

عشنا زمنا طويلا من الجهل والفقر، فلما خرج منا نابغون علماء وأطباء ومهندسون ومحامون وإعلاميون عالميون، فقتلناهم في السجون، أو قتلنا أرواحهم من الخوف، حتى عمّت الكآبة والحزن على الرجولة، فلا تجد أذل من أستاذ جامعة، أو أخوف من مدرس، أو أضعف من خطيب جمعة!

لماذا نحن نخاف حتى ساد فقر الفكر، ووهن الروح، وبقي الأمل فقط معقود بمنقذ أو شفيع يتحدث عن مساجيننا أو عن قضايا من ...؟

الجامعات في العالم منبر حرية، وعند العرب ثانوية خائفة متخلفة، بل ومصنعا للأمية الفكرية، وتغييب القضايا المهمة كفلسطين والعراق وأفغانستان عن جامعاتنا كما تغيب عنها العلوم والمعارف!!

تذكروا أن أقوى الأصوات السياسية الناقدة للحكومات الغربية تدرس في أرقى جامعاتها العلمية التطبيقية.

إن طلاب الجامعات في الغرب هم أول من هيج العالم لإنهاء الفصل العنصري في جنوب إفريقيا، وقد كانت اللوحات تغطي ميادين الجامعات بصور مانديلا وقضيته، وكنا نجهل الحملة، ونتهجى اسم الرجل وقضيته، ثم أثمرت الجهود الصادقة، واليوم جدار الفصل العنصري والنازية الصهيونية لا يهمس احد عنها في جامعاتنا ولا ندوات ولا نقاشات ولا عمل، كما يتم حتى في بعض جامعات بريطانيا فقط.

لماذا تكون الجامعات والإعلام الغربي هو معدن الحرية، وعندنا الإعلام والجامعات منبع الهوان والاستخذاء!!

ثم كيف نشتكي من التخلف، ونحن نستميت في صناعته!!

تحرروا من الخوف والهلع الموهوم، حرروا أنفسكم من التشويه العالمي، الذي يرسخ الخوف والاحتقار المتبادل، ليتحرر الجميع. أنقذوا ذويي القلوب والعقول وذوي المهارة من السجون، ومن الخوف، وسيفتح لكم باب العزة.

إن ما يتم الآن مدعاة لنكس الرؤوس والشعور بالمعابة، ولا يجلب إلا مزيدا من الهوان والمذلة والسخرية والتشويه العالمي.

* عن: مجلة العصر، ٢٠٠٨/١/٦

http://www.alasr.ws/index.cfm?method=home.con&contentid=9711

وجوه حجازية

بكور بن علي الجهني
(١٢٦٤ - ١٣٥٤هـ)

بكور بن علي الجهني المصري، ثم المكي الشافعي. عالم مسند، ولد بمصر، وقدم مع أبيه صغيراً الى مكة المكرمة فنشأ بها، واستوطنها وجاور بها، وحفظ القرآن الكريم ومجموعة من المتون في الفقه والنحو وغيرهما. أخذ العلم قراءة وسماعاً عن بعض علماء مكة المكرمة كالشيخ محمد بن سليمان حسب الله الشافعي، والشيخ عابد بن حسين المالكي، والشيخ محمد جمال المالكي، وأجاز له جماعة كثيرون من الحرمين والواردين إليهما كالسيد حسين بن محمد الحبشي، والسيد أحمد بن إسماعيل البرزنجي، والشيخ عبدالله أفندي الجوهري، والسيد أبي النصر الخطيب الدمشقي، وشهاب الدين أحمد بن محمد الحضراوي وغيرهم. رحل الى الهند وجال في بلدانها ومراكزها العلمية والتقى بالعديد من علمائها ثم رحل الى ماليزيا ووصل الى جزيرة سومطرة وغيرها. عاد الى مكة المكرمة، وفي آخر عمره كف بصره، وتوفي رحمه الله بمكة المكرمة(١).

محمد إسماعيل حابس
(١٣١٩ - ١٣٨١هـ)

ولد بمكة المكرمة ونشأ بها والتحق بالمدرسة الخيرية وتخرج منها. ثم قام بالتدريس بها وفي نفس الوقت واصل دراساته العليا بمدرسة القلعة، وكانت في ذلك الوقت هي آخر مرحلة دراسية، ولتفوقه ونبوغه عمل مدرساً بها، وكان شغوفاً بالقراءة والمطالعة. ومن زملائه في التدريس الشيخ أحمد السباعي، والشيخ عبدالوهاب خياط وآخرون. عمل بالنيابة العامة، وخدم فيها لسنوات طويلة، وتدرج في أعمال أقسامها، حتى أصبح مدير عام التفتيش بها. وحينما تأسست وزارة الداخلية اختير مديراً عاماً مساعداً، ثم مديراً عاماً فيها. توفي رحمه الله بمكة المكرمة(٢).

عبدالواحد الجوهري
(١٢٧٨ - ١٣١١هـ)

هو عبدالواحد الجوهري اليمني المكي الشافعي. ولد بمكة المكرمة ونشأ بها وطلب العلم فقرأه على غير واحد من أفاضل علماء بلد الله الحرام. توجه الى علم الأدب أكثر، فكان أديباً شاعراً ومهر ونظم الشعر الحسن الكثير، واشتهر شهرة تامة بالحجاز، ولأهله على شعره تهافت، وعلى قصر حياته، فقد شغل معاصريه بشعره الذي قصره على الغزل حتى أن معاصريه أغرموا به، وشبهوه بالمتنبي على عادة العصور الإسلامية الوسطى في التعلق بأسماء نوابغ العصور الأولى، فكان الشاعر عندهم متنبي زمانه، ووحيد أوانه. توفي رحمه الله بمكة المكرمة(٣).

أحمد الحبشي
(١٢٩٧ - ١٣٥٢هـ)

هو أحمد بن حسين بن محمد بن حسين بن عبدالله الحبشي. ولد في القنفذة وقدم به والده الى مكة المكرمة وعمره سنتان فنشأ بها، وقرأ القرآن الكريم على والده ولازمه ملازمة تامة في حضره وسفره، وأخذ عنه وأجازه، وأخذ عن أحمد بن حسن العطاس وسالم البار وعمر البار، وعن محمد بن جعفر الكتاني والشيخ عبدالرحمن الشربيني المصري وغيرهم. توفي رحمه الله بمكة المكرمة(٤).

عبدالله الحداوي
(١٣١٣ - ١٣٧٠هـ)

التحق بالمدرسة الصولتية وتخرج منها فدرس فيها وبالمسجد الحرام. قام برحلة الى الهند وباكستان سنة ١٣٤٦هـ وزار مكتباتهما، وعكف على مطالعة كنوز الكتب السلفية ودراسة المذهب الحنبلي، ثم عاد الى مكة المكرمة، وتقلب في مناصب القضاء فيها وفي الطائف. قال عنه عمر عبدالجبار في كتابه (سير وتراجم): (عرفت فضيلة الشيخ عبدالله حداوي مدرساً فصيحاً مخلصاً لطلابه، وعرفته قاضياً تكسوه هيبة العلم ووقاره، وحضرت مجالسه الخاصة، واستمعت للطف حديثه، ولمستُ فيه رعاية حقوق أصدقائه واقربائه والعطف عليهم ومواساتهم في الأزمات والشدائد)(٥).

(١) ابو سليمان، محمود سعيد، تشنيف الأسماع، ص١٢٣.

(٢) المليصي، عبدالله. في حياتهم، جريدة البلاد، العدد ٧٦٢٥، في ١٤٠٤/٧/٢٠هـ، ص ١٠-١١.

(٣) مرداد أبو الخير، عبدالله. مختصر نشر النور والزهر، ص٣٣١. والعامودي، محمد سعيد. من تاريخنا، ص ٢٢٧؛ والغزاوي، أحمد بن إبراهيم، شذرات الذهب، ص ٤٣٦؛ وأبو بكر، عبدالرحيم، الشعر الحديث في الحجاز، ص١٤٨؛ وأخيراً الحامد، عبدالله، الشعر في الجزيرة العربية خلال قرنين، الطبعة الثالثة، ص ٣٨٣.

(٤) الحبشي، أبو بكر، الدليل المشير، ص٢٨.

(٥) عبدالجبار، عمر. سير وتراجم، ص ٢٢٤.

إختطاف (التوحيد)

كلمة (التوحيد) تعتبر من (محتكرات) الوهابية. فهم الموحدون دون جميع خلق (لا إله الا الله محمد رسول الله). اختطفوا كلمة التوحيد وجعلوها شعارهم، كيما يكفروا بقية المسلمين ويبرروا استحلال قتالهم ودمائهم ونسائهم وأموالهم والإستيلاء على أراضيهم، كما فعل ابن سعود. احتكار التوحيد وفهمه ترتب عليه التكفير للغير، والتكفير أدّى الى القتل. ألا ترى أن (الموحدين) الوهابيين إياهم هم أكثر من يسترخص دماء المسلمين في الجزائر والعراق ولبنان وأفغانستان والباكستان؟ أنظر الى العنف في هذا العالم، ستجد أن ما يقوم به المسلمون قد جاء من هذه الفئة المحتكرة للتوحيد وللفرقة الناجية، وبالتالي المكفرة لغيرها، والتي تقتل من خالفها أو حتى لم يخالفها، على غير هدى.

ابحث في (غوغل) عن كلمة (التوحيد).. ستجد أن الغالبية العظمى من النتائج لها علاقة بنشاطات وأفكار ومدارس ومنتجات الوهابية في مختلف بقاع العالم.. هم يميّزون أنفسهم بأنهم وحدهم (المدافعون عن التوحيد) وأنهم وحدهم (العارفون لمعناه) وأن بقية المسلمين لا علاقة لهم بـ (التوحيد) اي أنهم إما مشركون أو كفرة أو على جانب من الكفر والشرك. بمعنى آخر: إن إسلام غير الوهابي ليس صحيحاً، أو مشكوك فيه.

من استخدامات الوهابية ودمغاتها الخاصة:

بلاد التوحيد!: المعنى هو أن السعودية هي الدولة التي يوجد بها توحيد لله، وباقي الدول مشركة أو كافرة!

عاصمة بلاد توحيد!: المقصود هنا: الرياض، عاصمة نجد، وليس مكّة المكرمة أو المدينة المنورة. فليس كل بلاد التوحيد (موحدة!) وإنما في بقعة منها (نجد) وعاصمة تلك البقعة هي عاصمة التوحيد (الرياض). التوحيد الذي انطلق من مكة والمدينة الى كل المعمورة، قرّر أن يهاجر هجرة أبدية الى الرياض ولم يعد الى دياره، ربما لأنه حُبس عند (أهل التوحيد) ولم يسمح له بالعودة. لهذا أصبحت مكة المكرمة والمدينة المنورة بلد شرك، كما أفتى بذلك (أهل التوحيد) وقتلوا أهلها وعلماءها.

أهل التوحيد!: وهم الموحدون وحدهم دونما سواهم. هم (أهل نجد)! وليس أهل مكة والمدينة وأهل الجنوب والشرق والشمال. هم (الوهابيون) دون غيرهم. لا يوجد مسلم موحد إلا في أرضهم، ولا يوجد مؤمن صحيح الإيمان إلا لديهم. أهل التوحيد يميزون أنفسهم في كتبهم وتاريخهم بأنهم (المسلمين) فيقولون: جاء المسلمون، هاجم المسلمون، ذبح المسلمون، استولى المسلمون. أما المُهاجَم ـ المعتدى عليه ـ فلا يدخل في تلك (الدائرة التوحيدية) فهو مشرك ودياره ديار شرك، بما فيها مكة المكرمة والمدينة المنورة.

علماء التوحيد!: والمقصود بالعلماء ليس أية علماء، فعلماء الرياضيات والهندسة والطب وغيرها ليسوا بعلماء أصلاً، كما أقرّ بذلك (علماء التوحيد) أنفسهم. وإنما المقصود هم علماء الدعوة الوهابية، التي تسمّى بـ (الدعوة النجدية). وعلماء التوحيد لا يعترفون بأن هناك علم صحيح عند أحدٍ غيرهم، فقد وصلوا هم وحدهم الى الحقيقة المطلقة، وتمثلوها وادعوها. أما علماء باقي الأقطار الإسلامية فهم ليسوا بعلماء، بمن فيهم علماء الأزهر، فهم بنظرهم (عوام) (جهّال) وقعوا في (الشرك) فكيف أصبحوا علماء التوحيد! إنما علماء التوحيد هم مشايخ نجد الذين عرفوا حقيقته وقاتلوا وقتلوا الآخرين بسببه. أينما تجد كلمتي (علماء التوحيد) أو (دعاة التوحيد) فأنت أمام علماء ومشايخ ومبلغي الوهابية!

مساجد (التوحيد): فمعظم المساجد التي تحمل هذا الإسم في العالم الإسلامي يسيطر عليها الوهابيون، ومساجد البقية أشبه ما تكون بمساجد ضرار. وحتى كتبهم ومراكزهم ومجلاتهم وحركاتهم السياسية تشير في كثير من الأحيان الى ذلك (التوحيد) المختطف.. السلاح الذي يشهرونه تكفيراً وقتلاً بوجه المسلمين. فمثلاً هناك (منتدى التوحيد) (ومنتدى شباب التوحيد) و (واحة التوحيد) و (منبر العقيدة والتوحيد)، والموقع القاعدي (التوحيد والجهاد)، وموقع (طريق التوحيد) و (منتدى التوحيد والسنّة) و (مركز التوحيد الإسلامي) و (المركز الإسلامي العام لدعاة التوحيد والسنّة) و (جمعية التوحيد) وحتى (بيرق التوحيد) و (راية التوحيد) التي يقصدون بها رايتهم التي اختطفت شارة الإسلام. وأما كتب (توحيدهم) فلا تعد منها: (كتاب التوحيد) لمؤسس الوهابية، و (دلائل التوحيد)، وهناك (مجلة التوحيد) و (صوت التوحيد) و (مجلة راية التوحيد) وغيرها.

وهناك من ينسب نفسه: (ابن التوحيد) و (بنت التوحيد) وغيرها. وهناك مدارس تحمل إسم: (مدرسة التوحيد) أو (مدرسة دار التوحيد) وغيرها كثير.

حسناً.. أنتم موحدون، فهلاّ كففتم سيفكم عن غيركم؟ وهلا كففتم (ألسنة موحديكم) عن الكذب والإفتراء والتكفير للغير؟!

ماذا ستصنعون إن كان معظم العالم الإسلامي لا يعترف لكم بأنكم ممثلين عن (الإسلام الصحيح!) وعن (التوحيد) يا (إخوان التوحيد) والظالمين لأنفسهم ولغيرهم بإسمه؟!

الحجاز

هذا الحجاز تأمّلوا صفحاته سفرُ الوجودِ ومعهدُ الآثار

- الحجاز السياسي
- الصحافة السعودية
- قضايا الحجاز
- الرأي العام
- إستراحة
- أخبار

- تراث الحجاز
- أدب و شعر
- تاريخ الحجاز
- جغرافيا الحجاز
- أعلام الحجاز
- الحرمان الشريفان
- مساجد الحجاز
- آثار الحجاز
- صور الحجاز
- كتب و مخطوطات

عزاؤنا فيك يا فقيد العلم يا عالم مكة

ما أظن أن سكان أم القرى وما جاورها قد أصابهم فزع وذعر كما أصابهم نبأ فقدان عالم مكة ورمزها وسيد أهلها، السيد الجليل، والعالم الكبير، السيد محمد بن علوي مالكي الحسني، الذي رحل عنا ونحن في أشد الحاجة لوجوده بيننا.

الحجاز لن يتخلّى عن هويته وتراثه

نخبة الحجاز: هموم المرحلة وتحديات المستقبل

من نافلة القول التأكيد على أن (الحجاز) وقد سبق له أن كان دولة تتمتع بكل أجهزة الدولة الحديثة هو الأكثر إخافة لحكم النجديين الوهابيين من أن يفلت من بين أيديهم، فيخسروا مكانتهم الدينية، وتبقى دعوتهم المتطرفة في حدود صحرائها، لا تتمتع بغطاء الحرمين الشريفين وإدارتهما، واللذان من خلالهما يتم فرض المذهب الوهابي وتضليل العالم الإسلامي، بل ومن تحت ذلك الغطاء تتم ممارسة أبشع وسائل التدمير لتراث الحجاز وتراث المسلمين.

زعيم الحجاز الديني: تشكيل مؤسسة غير وهابية

وإذا كانت أموال النفط قد أمدّت الحكم السعودية ودعوته الدينية المتطرّفة بزخم غير عادي لم يتأتّى لأي دعوة أخرى في العهد الحديث، فإن النفط نفسه ليس مضموناً الى الأبد مادامت سياسات النجديين النقيضة لكل ما هو وطني ولكل ما هو عدالة ومساواة، قائمة ومستمرة.. فالنفط ومنطقته قد تذهبان أيضاً، بالرغم من الشعور المغالي فيه بالقوة الذي بيديه متطرفو الوهابية وآل سعود على حدّ سواء، والذي يظهر وكأن الدنيا والعالم قد توقف عندهم وغير قابل للزوال.

(الدين والملك توأمان)

التحالف المصيري بين الوهابية والعائلة المالكة

كان العامل الديني القوة التوحيدية الفريدة الذي نجح في تشكيل وحدة اجتماعية وسياسية منسجمة في منطقة نجد. فقبل ظهور الدعوة الوهابية

القبّة الخضراء فضيّة وبلا هلال!

التطرّف الوهابي لا حدود له.

إنه مرضٌ حقيقي مختزن في صاحبه، قد يوجهه الى الآخر المختلف في الوجهة الدينية او المناطقية، لكنه لا يلغي حقيقة أن المريض بالتطرّف لا يخرب بيت الآخر بل ينتهي بتخريب بيته. لقد بدأ التطرف في المملكة ضد المواطنين الآخرين غير الوهابيين، فساموهم العسف والظلم وهدر الحقوق والكرامة، وكانت الحكومة تؤيد ذلك وتشرعن الفعل الطائفي المتطرف،

معالم وآثار يهدمها الوهابيون

المساجد السبعة.. قيمة لها تاريخ



مسجد سلمان الفارسي

من المعالم التي يزورها القادمون إلى المدينة المساجد السبعة، وهي مجموعة مساجد صغيرة عددها الحقيقي ستة وليس سبعة، ولكنها اشتهرت بهذا الاسم، ويرى بعضهم أن مسجد القبلتين يضاف إليها؛ لأن من يزورها يزور ذلك المسجد أيضاً في نفس الرحلة فيصبح عددها سبعة.

وهناك روايات حديثية لابن شبة تحدث فيها عن مسجد الفتح وعن عدة مساجد حوله. وقد روى عبدالله بن عمر رضي الله عنهما (أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في تلك المساجد كلها التي حول المسجد



أزياء حجازية: (داير ومنتور) يطرز بخيوط من الفضة المطلية

بالذهب والأحجار الكريمة على قماش منفصل ويتم تركيبها على الثوب.